جامعة محمد خيضر بسكرة
الآداب و اللغات العربية
الأدب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

الأدب و اللغة العربية
أدب عربي
أدب قديم

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
أسماء عمران أسماء سلامة

يوم: //

الخصائص الاسلوبية للخطب الشهيرة في العصر العباسي (خطبة أبي العباس السفاح خطبة المأمون ، خطبة هارون الرشيد) أنموذجا

لجنة المناقشة:

سامية أجقو	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
علي رحماني	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
فاطمة دخية	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ونصلي ونسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

تعددت فنون النثر العربي في العصر العباسي، فتناول العباسيون ما كان معروفا من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات...، وزادوا عليها بعض من أمثلة ظروف حياتهم ، وبيئتهم ، تعد الخطابة من بين الفنون النثرية الشائعة في العصر العباسي، بحيث اعتمدها الخطباء كونها وسيلة فعالة في استنهاض الهمم، وإبداء روح الحماسة للجهاد في سبيل الله، وقد أصاب هذا الفن حظا وافرا من النمو والازدهار والتطور شأنه من شأن الفنون الأخرى.

فقد تنوعت أنواع هذه الخطابة بتنوع موضوعاتها فشملت السياسة والدينية وغيرها، فكانت تحتل الخطابة السياسة والدينية بقوة الألفاظ وفصاحة العبارة وبلاغة الصور والتراكيب، ومن خلالها حرص الخطباء العباسيون على تثبيت أركان حكمهم وتوطيد الدعائم لملكهم ، فاستخدموها للدفاع عن أنفسهم واجتذاب الناس إليهم بعد أخذهم السلطة من الأمويين.

وظلت الخطابة مزدهرة إبان العصر العباسي، وخاصة في بدايته في مرحلة توطيد أركان الدولة وبيان شرعية الخلافة، ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الكشف عن الوسائل البيانية التي استعملها العباسيون لتحقيق أهدافهم.

وبعد أطلعنا على بعض الدراسات السابقة في الخطابة العباسية.

فقمنا باختيار هذا الموضوع الذي يحمل عنوان: **الخصائص الأسلوبية للخطب الشهيرة في العصر العباسي** مع نماذج مختارة لدراسة أسلوبية، باعتمادنا على ثلاثة نماذج من الخطب العباسية، الخطبة الأولى هي خطبة " **أبي العباس السفاح**"، والخطبة

الثانية هي خطبة "**هارون الرشيد**" ، أما الخطبة الثالثة هي "**للمأمون**" وجعلنا من هذه الخطب مجالا للتطبيق.

يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع، بيان أهمية فن الخطابة في عملية التطور الأدبي، وتأثير الأحداث السياسية في طبيعة الخطابة وأنواعها، كما نجد القدرة التعبيرية الفائقة للخطابة وأهميتها في توطيد أركان الدولة العباسية.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نطرح الاشكالية التالية:

- ما هي الخطابة؟
- ما هي أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول؟
- كيف أثرت الخطابة في العصر العباسي الأول؟
- وكيف جاءت الخطابة عند الساسة وخلفاء العصر العباسي الأول؟ وما هي أهم خطبه لهم؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا نقسم بحثنا إلى فصلين و خاتمة، بحيث تناولنا في الفصل المعنون ب: فن الخطابة لغة واصطلاحا، أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول، ثم أثر الخطابة في بنية الحياة السياسية في العصر العباسي الأول. كما تطرقنا إلى الخطابة عند الساسة وخلفاء العصر العباسي الأول لكل من الخليفة أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون متناولين فيها باختصار عن نسبهم وبيعتهم وارتباطاتهم السياسية وأهم خطبة لهم وأخلاقهم وصفاتهم.

أما في الفصل الثاني فتحدثنا فيه عن خصائص الأسلوبية لخطب العصر العباسي الذي تضمن في هذا الفصل عن كيفية بناء الخطبة (مقدمة ، عرض ، خاتمة) وعن جماليات اللغوية لهاته الخطب لكل من أبي العباس، هارون الرشيد والمأمون بما فيها من (لغة وأسلوب وصور بيانية ومحسنات بديعية).

أما المنهج الذي اتبعناه في دراستنا هو المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي حسب الحاجة في ثنايا الدراسة.

كما اعتمدنا في دراستنا على جملة من الكتب التراثية أهمها:

لسان العرب لابن منظور، جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوة، أساس البلاغة للزمخشري، الأدب العربي في العصر العباسي لناظم رشيد، تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، والخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار) لفاروق عمر فوزي.

أثناء بحثنا هذا واجهتنا صعوبات ومشاكل ، منها صعوبة إيجاد دراسة تحلل الخطب في هذا العصر، كثرة المراجع ووجودها في أماكن مختلفة، بالإضافة إلى الظروف التي واجهتنا بسبب الوباء وغلق كل من الجامعة والمكاتب وغيرها، إلا أننا بذلنا جهدنا للإلمام و الإحاطة بأكبر عدد ممكن من حيثيات الموضوع، وحاولنا إضافة لمستنا البسيطة في الدراسة التي تناولت الأدب العباسي عموما، ونتمنى أن نكون قد ألممنا بجزء بسيط من أجزاء هذا البحث ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما سعينا إليه.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى على عونه لنا ولإتمام هذا العمل، ونتوجه بالشكر إلى الدكتور و الأستاذ الفاضل " **علي رحماني**" لرعايته لهذا البحث وقبوله الإشراف علينا، كما نشكره على توجيهه لنا انطلاقا من خبرته العلمية والنصائح القيمة التي قدمها لنا.

الفصل الأول : الخطابة في العصر العباسي الأول

1-تعريف الخطابة وأنواعها وأثرها في بنية الحياة السياسية في ع.ع.أ

1-1 تعريف فن الخطابة:

1-1-1 : لغة

1-1-2 : اصطلاحا

1-2 أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول:

1-2-1 : الخطابة الحفلية

1-2-2 : الخطابة الدينية

1-2-3 : الخطابة الحربية

1-2-4 : الخطابة السياسية

1-3 أثر الخطابة بنية الحياة السياسية في ع .ع .أ

2-الخطابة عند الساسة وخلفاء العصر العباسي الأول

2-1: موضوعات أبي العباس وأهم ما جاء في خطبه

2-1-1 : نسبه

2-1-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه

2-1-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته

2-2 : موضوعات هارون الرشيد وأهم ما جاء من خطبه

2-2-1 : نسبه

2-2-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه

2-2-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته

2-3 : موضوعات المأمون وأهم ما جاء من خطبه

2-3-1 : نسبه وبيعته

2-3-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه

2-3-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته.

1-فن الخطابة :

الخطابة فن أدبي لا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ، فمنذ أن اجتمع الناس في مكان واحد وتفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطابة ، لأن الأفكار تختلف فيما بينهم ، وقد استعملها الأنبياء عليهم الصلاة و السلام في نشر رسالاتهم وتبليغ دعواتهم ، فأذابوابها الجليد المتحجر في النفوس ، ونفذوا بها إلى قلوب الناس فاستعطفوهم ، وأقنعوا وأثروا فيها

مفهوم الخطابة :

كان لموضوع الخطابة اهتمام كبير منذ القدم عند العلماء الغربيين والعرب، حيث حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة ، لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة[1]

فمفهوم الخطابة من الناحية **اللغوية** : نجد ابن منظور يقول : " قال خطب : فلان الى فلانفخطبه ، وأخطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان[2].

ونجد تعريف لغوي آخر لابن منظور:

" الخطبة مصدر الخطيب ، وخطب الخاطب على المنبر ، اختطب يخطب خطابة واسم الكلام : الخطبة ، قال أبو منصور : والذي قال الليث إن الخطبة مصدر الخطيب فيوضع موضع المصدر الجوهري ، خطبت على المنبر خطبة بالضم ، وخطبت المرأة خطبة بالكسر واختطب فيها.

[1]- ينظر ، محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي، افريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2002 ، ص13.

[2]- محمد ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، لبنان 1990 ، ص 361.

قال ثعلب ، خطب على القوم خطبة فجعلها مصدرا ، وذهب أبو اسحاق إلى أن الخطبة عند العرب ، الكلام المنشور المسجع ، وجمع الخطيب ، خطباء، وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيبا"[1]

كما نجد الخطابة في قاموس المحيط : " وخطب الخطيب بالفتح و خطبة بالضم وذلك الكلام : خطبته أيضا أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه ، ورجال خطيب حسن الخطبة"[2]، ونجد هذا التعريف اتفق مع تعريف ابن منظور للخطبة ، كونها الكلام المنثور المسجع ، ونقول رجل خطيب حسن الخطبة ، بمعنى خص عليها الحسن والبيان.

وحدد الزمخشري ، صاحب أساس البلاغة ، بـ : " خطب ، خاطبه أحسن الخطاب ، وهو المواجهة بالكلام ، وخطب الخطيب بالكلام ، وخطب الخطيب خطبة حسنة ، وخطب الخطيب خطبة جميلة وكثر خطابها وهذا خطبها وهذه خطبته ، وهذه خطبة"[3] ، جاء هذا التعريف وفق التعريفات السابقة ، بالإضافة إلى جمال الخطبة المتمثل في الشكل زيادة إلى المحسنات البديعية والصور البيانية التي أضافت جمالا و رونقا على الخطبة.

الخطابة اصطلاحا:

هناك جملة من التعاريف لهذا الفن الأدبي ، الذي حضي باهتمام الفلاسفة والأدباء ، فوضعوا له تعاريف كثيرة منها:

[1]– ابن منظور، لسان العرب ،مج3 ، مادة خطب ، باب الجاء ، دار الحديث ، القاهرة، دط ، 2003م ، ص138.

[2]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، دط، دار الجيل للنشر ، بيروت ، ص65.

[3]– أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، اساس البلاغة ، دط ، دار النفائس ، القدس ، 2009 ، ص 154–155.

عرفها الجرجاني بقوله : " هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقدفيه ، والغرض منها ترغيب الناس فيما بينهم من أمور معاشهم ومعادهم ، كما يفعله الخطباء و الوعاظ"[1].

كما ورد تعريف آخر على النحو التالي : " الخطابة مصدر خطب ، يخطب أي صار خطيبا ، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم ، يقتدر بها على التصرف في فنون القول ، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين ، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم ، واقناعهم ، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع ، ومخاطبة وجدانه و إثارة إحساسه ، الأمر الذي يراد منه ليذعن للحكم إذعانا ويسلم به تسليما"[2] بمعنى أن الخطابة فن من فنون القول مسعاها التأثير في نفوس السامعين ، كما أنها تتعامل مع العقل والعاطفة وذلك بقوة البيان وفصاحة اللسان ، وغايتها الأولى والأخيرة، هي الافهام والتأثير والاقناع.

أما الخطابة عند أرسطو هي : " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة"[3] أي أن أرسطو اعتبر الإقناع هو الهدف الرئيسي للخطابة ، كما يجب أن توافق الأخلاق الحميدة.

إن الخطابة : " التأثير بالبيان ، وعند المنطقيين والحكماء ، هو القياس المؤلف من المظنونات أومنها ، ومن المقبولات ، فيسمى قياسا خطابيا أيضا ... وصاحب هذا القياس يسمى خطيبا ، والغرض ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم

[1]– الجرجاني ، معجم التعريفات ، باب الخاء ، تحق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، د ط ، د ت ص 87.

[2]– محمد أبو زهرة ، الخطاب أصولها تاريخي في أزهر عصورها عند العرب ، ط1 ، دار الفكر العربي ، الخليج ، 1353هـ –1934 م ، ص12.

[3]– أرسطو طاليس ، الخطابة ، تحق ، عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص104.

"[1]فهدف الخطيب هو التأثير والترغيب ، فالمظنونات هي الأمور التي يحكم العقل فيها ، والمقبولات هي الآراء التي يكون مصدر التصديق بها.

وعند المنطقيين والحكماء هو الحصول على قوة التمكن من الاقناع ، والارشاد إلى الحقيقة ، فالخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاجه من أمور دينه ودنياه.

ونجد تعريف ابن خلدون في كتابة (المقدمة) ، أثناء تعريفه بكتاب أرسطو (المخصوص في المنطق) ، "الخطابة ، القياس المفيد ، ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منه ، وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات".[2]

أي استخدام الخطيب وسائل الإقناع وذلك بحجج وبراهين مقنعة لإيصال فكرة ما وترغيب الجمهور فيها ، ولا يصل الخطيب إلى غايته ولا يؤثر في قلوب السامعين ويلفت انتباههم إلا إذا استطاع أن يثير حماسهم.

" الخطابة هي فن مشافهة الجمهور واقناعه وانتمائه.

فلا بد من مشافهة ، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا

ولا بد من جمهور يستمع . إلا كان الكلام حديثا أو وصية.

ولا بد من الاقناع ، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين و يؤيده بالبراهين ، ليعتقدوه كما اعتقده"[3].

من خلال هاته التعاريف الاصطلاحية أخلص إلى أن الخطابة هي فن أدبي يلقى مشافهة ، هدفه إقناع المتلقي من خلال وسائل الإقناع ، والتأثير فيه واستمالته لإيصال

---

[1]– حنى عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي ، ط1 ، مؤسسة المختارة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص49.

[2]– ينظر – ابن خلدون، المقدمة ، د ط ، د ت ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ص 491.

[3]– أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002–ص5.

الفكرة المبتغاة ، وكذا لا بد أن يكون الخطيب ، ذو صفات ومميزات واستعدادات مؤهلة لهذا الفن.

2-أنواع الخطابة في العصر العباسي:

حافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الفني الرفيع في بداية العصر العباسي ، ثم ضعفت للأسباب التالية منها:

1-التضييق على حرية الرأي.

2-انتعاش فنون أخرى كالمناظرات والمسامرات والفنون الكتابية والروائية.

3-الترجمة والامتزاج الحضاري مع الأمم الأخرى[1]

إن ما وصل إلينا من خطب هذا العصر كثيرة ومتنوعة وقد اشتملت على موضوعات شتى ، وسنعرض أهم أنواعها.

أولا : الخطابة الحفلية:

ويراد بها الخطب التي تلقى في المواسم الكبار ، والمحافل العظام ، وفي مجالس الخلفاء والملوك والأمراء ، ولا تقتصر الخطابة الحفلية على موضوع واحد ، ومن بين المضامين التي تناولتتها باختصار:

خطب الوفود:

تلقى هذه الخطب في مجالس الخلفاء والولاة ، ولا تخلو هذه الخطب من جمال التعبير.

[1]- حامد صادق قنيبي ، الأدب العباسي (النثر) ، دار الجوزي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، د ط ، 2008 ، ص161.

الأغراض التي تناولتها كثيرة تمثل غايات واتجاهات تنصب حول الثناء والتهاني والشكر والشكوى والاستعطاف والوصف وما إلى ذلك من مقاصد وأغراض أخرى..[1]

ضعفت خطب الوفادة في العصر العباسي ، وذلك لأن خلفاء بني العباس لم يكونوا يرحبون بوفود العرب و وفود البلدان التي كانت تفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين ، أما قصور بني أمية فتقابل بالترحيب والتكريم ، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك موقف المأمون من وفد أهل الكوفة ، فقد قدم وفد الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : " يا أمير المؤمنين يدك أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم ، وبعدها من المآثم ، وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب..

وأيضا الخطبة التي ألقاها عبد الملك بن صالح بين يدي هارون الرشيد ، يهنئه بمولود رزقه ، ويعزيه عن ولد مات له في يوم واحد ، قال عبد الملك : " يا أمير المؤمنين ، سرك الله فيما ساءك ، وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر"[2]

خطبة النكاح :

تسمى خطب النكاح أيضا بخطب الزواج أو خطب الإملاك ، وقد استثقلها المسلمون منذ عهد مبكر – كما يقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن " من أشد أنواع الخطب إجهادا للخاطر وكدا للنفس".

ونجد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح"[3]

---

[1]– حسين عبد العالي اللهيبي ، الخطابة في العصر العباسي الأول ، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية ، المجلد (7) ، 2008 ص 96.

[2]– حامد صادق قنيبي ، الأدب العباسي (النثر) ، ص 170.

[3]– المرجع نفسه ، ص 168.

ولعل ذلك راجع لضيق مجال القول فيها ، ولما تتطلبه من مدح قد لا يجري على سجية الخطيب ، ولأن مذاهب القول فيها محصورة بين الرغبة والقبول. و الفكرة العامة في هذه الخطب هي إقناع ذوي الفتاة بمن يرغب الأصهار إليهم ، مثال ذلك خطبة الخليفة المأمون لما أراد أن يزوج ابنته من الامام على بن موسى الرضا- عليه السلام فقال : " الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ولا إله إلا هو إقرارا بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد فإن الله قد جعل النكاح دينا ورضيه حكما..."[1]

- أكد الخطيب في هذا النص أهمية الزواج ، كما أشار إلى حسن الاختيار وحسن الظن بالخاطب ، ومقدار ما يبذله الخاطب.
- وقد أكثر الناس من النسج على منوال خطبتي نكاح هما:

1- الخطبة التي ألقاها أبو طالب عند تزويج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد ، وهذه الخطبة هي أشهر خطبة نكاح في تاريخ الأدب العربي.[2]

2- الخطبة المأثورة عن الامام على الرضا ، التي قال فيها ، بعد حمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، وتلاوة قوله تعالى : " **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" (الفرقان-54)**[3]

لو لم يكن في المناكحة والمصاهرة آية محكمة ، ولا سنة متبعة لكان فيما جعل الله فيها من بر القريب وتألف البعيد.

---

[1]- حسين عبد العالي اللهيبي ، الخطابة في العصر العباسي الأول ، ص 98.

[2]- حامد صادق قنيبي ، الأدب العباسي (النثر) ، ص 169.

[3]- القرآن الكريم ، برواية ورش ، سورة الفرقان ، الآية 54.

ثانيا : الخطابة الدينية:

للخطابة الدينية أثر كبير في حياة المسلمين ، فمن خلالها يستطيع الخطيب أن يوجه الناس إلى تقوى الله وطاعته وحبه وخشيته ، بما يغمر قلوبهم ومشاعرهم ، إنها صادرة من قلب مفعم بالصدق والايمان والاخلاص.

والخطابة الدينية هي " تلك التي شرع الاسلام لها وقتا معلوما ف الجمعة والعيدين ، وفرض الاستماع لها ، وكانت الأداة المعبرة في المناسبات الدينية ، وفي كل أمر جامع"[1] بمعنى أن الخطابة الدينية أعطى لها الاسلام مكانة في حياة المسلمين ، وذلك لتوضيح العبارات و الأحكام وتفصيل الحلال عن الحرام – وتفقيه المسلمين وتعليمهم حقائق دينهم ، لهذا نجد الخطيب في الخطابة الدينية يلجأ إلى وعظ الناس وارشادهم من فتن الدنيا ، والتذكير بالموت واليوم الآخر.

وتناولت الخطابة الدينية في العصر العباسي الأول العديد من الموضوعات نذكر منها : خطبة الجمعة – خطبة العيدين.

1-خطبة صلاة الجمعة:

هذه الخطبة تنوب عن نصف الفرض ، وتحل محل ركعتين في صلاة ظهر يوم الجمعة ، ولها مقام عظيم ، وهي ركن من ركان الحق ، وشعيرة من شعائر الهدي ، ومنبر للتوجيه والاصلاح [2] ، ومن أمثلة خطب صلاة الجمعة في العصر العباسي والتي شارك فيها عدد من الخلفاء ، نجد خطبة المأمون في قوله : " الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه

[1]– عيسى ، عبد الرحمان ، أدب الخطابة الدينية في الدعوة الاسلامية ، ط1 ،1995م ، دار الايمان ، بيروت ، ص23.

[2] – ينظر : عيسى عبد الرحمان ، أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية ،ص 128 .

وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده والتنجز لوعده والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله..." [1]

نلاحظ هنا أن المأمون يوصي بالتمسك بتقوى الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه لأن تقوى الله خير زاد يتقرب به العبد إلى ربه.

2-خطبة صلاة العيدين:

لا تكاد تختلف عن خطبة صلاة يوم الجمعة ، فالفكرة فيها حول الوعظ و الارشاد والحث على طاعة الله وخشيته ، واجتناب معاصيه ، من أمثلة ذلك نجد خطبة المأمون في عيد الأضحى قال : " إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه وعظم حرمته و وفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله بالذبح العظيم بنية وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر..." [2]

وهنا يذكر المأمون الفضائل لهذا اليوم المبارك ، الذي شرفه الله وعظمه.

ثالثا : الخطابة الحربية:

وهي الخطب التي يقدمها القادة على مسامع الجند في ميادين القتال ، لإثارة حماسهم وبث روح العزيمة بما يبعث في نفوسهم من استعداد يدفعهم إلى لقاء العدو ، وعلى

[1] – ناظم رشيد ، الادب العربي بفي العصر العباسي ، د ط ، 1989 م ، دار الكتب للطباعة و النشر ، الموصل ، العراق ، ص 155 .

[2] – ابن عبد ربه ، أبو عمر و احمد بن محمد ، العقد الفريد ، تج : أحمد أمين و احمد الزين ، ابراهيم الأنباري ، ط2 ، 1962 ، ج4 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، ص 105 .

الرغم من كثرة الحروب التي شهدها العصر العباسي الأول ، إلا ان خطب هذا اللون قليلة جدا.

فنجد الخطابة الحربية خف صوتها مع ركود الفتح ، وضعف شوكة الأحزاب المعارضة في العصر العباسي ، وأن كانت الحروب التي شهدها هذا العصربين العباسيين والخارجين عليهم ، قد ظلت حافزا لإلقاء الخطب الحربية بين حين وآخر.[1]

من أمثلة الخطب الحربية ، التي ظهرت في العصر العباسي الأول ، نجد خطبة طاهر بن الحسين قائد الجيش المأمون في تلك الحرب ، فعبا طاهر كتائبه وجهز جنده وساوى صفوفهم ، وجعل يمر بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول : " يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر ، إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم ، وصغروا ما عظمتم ...." [2]فبهذه الكلمات التي تلهب الحماس ، وتثير العواطف ، استطاع طاهر ابن الحسين أن يحث جنده على القتال ، ويرغبهم فيه ، ويهون عليهم الأعداء الذين وصفهم بالنكث والغدر والجهل.

ومن الخطب كذلك ، خطبة أبي العباس السفاح التي ألقاها في أهل الشام بعد انتصار العباسيين على الأمويين في معركة (الزاب) وقتل مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية [3]

رابعا : الخطابة السياسية:

ازدهرت الخطابة في بدايات العصر العباسي ازدهارا كبيرا بتأثير الأحداث السياسية ، واشتداد الأزمات وتتابعها ، ولا ريب أن هذه الأحداث قد أزكت جذوة الخطابة السياسية

[1] – ينظر : حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 166.

[2]– أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطي العرب ، ص 102 .

[3]– حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 166.

، إذ اتخذتها الثورة العباسية أداتها في بيان حق العباسيين في الحكم ، وكذلك تشريع القوانين التي تنظم الحياة السياسية للدولة العباسية.

والخطابة السياسية ، هي تللك الخطب التي تلقى الجمهور ، فهي تعد من أصعب الأنواع نتيجة أغراضها في التأثير في العامة بشكل أو بآخر وتوصيل أفكار معينة ، وغرس سياسات يريدها الحاكم وحاشيته أو بمعنى عام هو أن يقف الخلفاء والقادة لإلقائها في مقاصد لتشجيع الجنود وبث الروح الجهادية ، واستقبال الوفود.

ومن الخطب السياسية التي قيلت في هذا العصر ، خطبة أبي العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي المعروف بالسفاح التي ألقاها في الكوفة بعد أن بايعه وجوه القواد ، افتتح أبو العباس السفاح خطبته بقوله : " الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به الذابين عنه ، والناصرين له ..." [1]

ثم ذكر قرابة العباسيين من النبي صلى الله عليه وسلم في آيات القرآن الكريم ، ومنها قوله تعالى:" **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**" **(الأحزاب :33)** [2]

ونجد خطبة أخرى لأبي العباس السفاح فقال : وزعمت السبيئة الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، بما ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ،

[1]– حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 161.

[2]– سورة الأحزاب ، الآية 33 .

وأدحض بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ورفع بنا الخسيسة وأتم بنا النقيصة.." [1]

والسبيئة التي ورد ذكرها هنا هي فرقة من غلاة الشيعة ، وقد ذكرها السفاح ليوحي للناس أنه لا يماري في حق العباسيين في الرياسة والخلافة إلا السبيئة الضلال ، وأن غيرهم يسلم لبني العباس بهذا الحق ، لأنهم من آل البيت ، وأنقذ الله الناس بهم بعد الهلكة والجهالة والضلالة.

وكانت الشيعة جبهة المعارضة القوية ، فثار أئمتها على العباسيين واستخدموا الخطابة في ثوراتهم لاجتذاب الناس إليهم وتأليبهم على العباسيين [2]

وكذلك نجد خطبة النفس الزكية لمحمد بن عبد الله الحسن بن الحسن، حين خرج على المنصور، قال على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : " أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : " أنا ربكم الأعلى" . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار المواسين اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك.."[3]، في هذه الخطبة يرى محمد بن عبد الله العلوي ، أن أبا جعفر المنصور العباسي من المكابرين الذين يعاندون الله ببنائه القبة الخضراء ، كما شبهه بفرعون واعتبر أن العباسيين استأثروا بالخلافة مع أن المهاجرين والأنصار أحق بها منهم . كمايبين لنا انحرافهم عن العمل بالكتاب والسنة على أنهم أحلوا الحرام وحرموا الحلال.

---

[1]– أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطي العرب ، ج3 ، العصر العباسي الاول ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، 1933 ، مصر ، ص2 .

[2]– حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 162.

[3]– أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطي العرب ،ج3 ، ص ص 32–33.

وفي ختام حديثنا عن الخطب في عهد بني العباس ، ينبغي أن نقف على أهم خصائصها الموضوعية والبنائية والأسلوبية.

من الناحية الموضوعية فقد لاحظنا أن أنواع الخطب التي شاعت في هذا العهد ، كانت مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من عهود ، ومن ثم فقد ضاقت على الخطباء مسالك التجديد في موضوعات الخطب ، فاتخذوا من الموضوعات التقليدية مجالات للقول ، وضاقت مسالك التجديد في المعاني أيضا ، وكان الخطباء يميلون إلى المعاني الواضحة والسهلة.[1]

أما من حيث البناء فقد كان للخطب هيكل عام ، يقوم على أربعة أركان هي : التحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرض الموضوع ، والخاتمة.

فقد كان الخطباء ، يحرصون على افتتاح خطبهم بحمد الله ، وكانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها : البتراء [2]

من الناحية الأسلوبية ، فقد غلب على الخطباء الميل إلى السلاسة في الأساليب السهولة في العبارات والتراكيب ، واستخدام الجمل المستوية الخالية من التعقيد باستثناء بعض المواضع التي استخدمت فيها جمل معترضة طويلة.

وقد كثر في الخطب اللجوء إلى الاقتباس والتضمين ، وكان بعض الخطباء يفرد ما يقتبسه من آيات وأحاديث بحيث يكون ظاهرا مميزا. [3]

---

[1]- ينظر : حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 170 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 171 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 172 .

3-أثر الخطابة في بنية الحياة السياسية في العصر العباسي:

اشتهر العرب منذ عصر ما قبل الاسلام بالخطابة ، وعرفوا بفصاحة اللسان وقوة البيان ، وبراعة التعبير ، وازدادت الخطابة ازدهارا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وبلغت القمة في عصر بني أمية لتوفر دواعيها الدينية والاجتماعية والسياسية ، وظلت رائجة في العصر العباسي الأول ، وبقيت المنابر قائمة تدعو الناس للدولة الجديدة ، وتلمهم حولها ، وتجمع قلوبهم في حبها ، وتندد بالدولة السابقة وتزري برجالها.

العصر العباسي الأول ، هو العصر الذي بدأ في التاريخ السياسي سنة 132 هـ 749 م ، بسقوط الدولة الأموية في الشام ، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق) ، وهذا التحديد عرفي قليل الصلة بالحقيقة التاريخية ، فانتقلت الخلافة في سنة 132 هـ من الشام إلى العراق ، من بني أمية الذين كانت دولتهم عربية عصبية إلى بني العباس الذين أصبحت دولتهم دينية جامعة. [1]

فكانت أثر الخطابة في بنية الحياة السياسية في العصر العباسي الأول ، منظورة ومزدهرة ، وقد ثبتتا قواعد هذه الدولة على ازدهارها ، بدأت على يد المنصور ، وامتد نفوذها في كل مكان في أيام المهدي وتألقت حضارتها ، وعظمت هيبتها في زمن الرشيد والمأمون، وتوالت انتصاراتها العسكرية في خلافة المعتصم ، وظلت رائجة وفي قوة وازدهار في عصر الواثق والمتوكل. [2]

[1]- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية) ، ط1 ، دار العلم للملايين ، الكويت ، 1401 هـ - 1981م ، ص 33 .

[2]- محمود رزق حامد ، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي ، دار العلم و الإيمان ، د سوق ، مصر ، ط1 ، 2010 ، ص 25 .

تحول مجرى التاريخ بسبب هذه الدولة، وتغيرت بقدومها معالم الخلافة لا بد وأن يكون لها طابع سياسي مختلف عن غيره

بالطوع أو بالكره – ولا بد أن يكون من وراء هذا الطابع السياسي الجديد، نتاج جديد في الأدب المنظوم والمنثور [1]

ومن بين الأسباب التي أثرت في الخطابة في الحياة السياسية:

أن الدولة العباسية أحيطت بنطاق من الفتن والثورات والخروج على حكامها ، فكانت الحاجة ماسة إلى الخطب الرائعة ، يدافع الخلفاء بها على أنفسهم ، ويدعون الناس إلى البقاء على تأييدهم ومقاومة خصومهم ، والفتن دائما تحرك الألسنة ، وتدفعها إلى القول إذا يلتبس الحق بالباطل ، ويكون الغالب لمن هو أقوى بيانا ، وأسبق خصاما [2]مثال ذلك خطبة أبي العباس السفاح عند ما ولي أو اتخذ من الكوفة عاصمة للخلافة ، وعرف عنه البطش وقوة النفوذ ، وذلك في خطبته الأولى التي قال فيها (أنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح) [3]

اشتهر خلفاء هذه الدولة بالفصاحة وقوة الحجة ، خاصة في بداية عهد دولتهم.

كانت جمهرة الأمة في صدر الدولة ممن يقيمها القول البليغ ويقعدها ، يفقهون مرامي العبارات ومرامي الكلام ، فكان من حالهم مشجع للخطباء [4]

نجد أن خطب العباسيين تكشف أيضا عن سياستهم تجاه الرعية ، فإن من أراد العيش في أمان فعليه أن يلتزم بالطاعة وايثار السلامة وعدم التعرض لسياسة الدولة بالنقد أو

[1]– محمود رزق حامد ، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي ، ص 23 .

[2]– محمد أبو زهرة ، الخطاب أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ص 133 .

[3]– محمود رزق حامد ، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي ، ص 23 .

[4]– ينظر : محمد أبو زهرة ، الخطاب أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ص 134 .

التجريح ، وهذا المعنى يذكر على أن العباسيين عملوا على تكميم الأفواه [1]

وظلت الخطابة السياسية قرابة قرن من الزمن في البيت العباسي ، فكان لها خطباء بارزون من الخلفاء منهم وأشهرهم أبي العباس السفاح – المنصور– هارون الرشيد – المأمون ...

2–الخطابة عند الساسة والخلفاء العصر العباسي الأول:

العصر العباسي ، بوجه الاجمال ، عصر التحضر العربي ، والتمدن الاسلامي ، وقد امتد هذا العصر خمسة قرون كانت مسرحا لتحولات سياسية جذرية ، وتطورات اجتماعية وفكرية وأدبية أساسية ، تغري بمجموعها بتقسيم هذا العصر المديد إلى عهدين : يمتد الأول من خلافة السفاح (750) حتى خلافة المستكفي (945) ، ويبدأ الثاني بخلافة المطيع (945) ، وينتهي بسقوط بغداد بيد المغول سنة 1258 ، أما الحد الفاصل بين العصرين ، فهو تجزؤ الخلافة العباسية إلى دويلات مستقلة اداريا وماليا وعسكريا ، وارتباطها بها السلطة الدينية لا غير.

بدأ العهد العباسي بخلافة السفاح ، وكان من أبرز حكامه المنصور و الرشيد والمأمون ، ففي عهد المنصور توثق الحكم العباسي بالقضاء على أبي مسلم الخرساني ، وفي عهد الرشيد سلم النفوذ العباسي من أطماع البرامكة ، وفي عهد المأمون بدأت النهضة العلمية بانطلاق حركة الترجمة والنقل من بيت الحكمة. [2]

في حديثنا في هذا البحث سنتطرق إلى ثلاث خلفاء ظهروا في العصر العباسي الأول ، ألا وهم أبي العباس السفاح ، هارون الرشيد ، المأمون.

---

[1]– ينظر: حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 163.

[2]– كمال اليازجي ، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم ، ط1 ، دار الجيل ، لبنان ، 1986 ، ص 49 .

2-1 : موضوعات السفاح وأهم ما جاء من خطبه :

2-1-1 نسبه وبيعته :

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، ولد سنة 104 هـ بالحميمة ، وهي القرية التي كالنت أبوه وجده نازلين بها.[1]

أما بيعته ، خرج أبو العباس إلى المسجد تصحبه ثلة من الجند من ألفي فارس ، إذ لم يكن واثقا من تأييد الكوفيين ، وهناك كانت البيعة العامة ، وتضطرب المصادر في تعيين تاريخ البيعة والمرجح أنها كانت في ربيع الأول سنة 132 هـ. [2]

2-1-2 : موضوعات أبي العباس وارتباطاته السياسية وأهم ما جاء من خطبه :

كان أول من جلس على عرش الدولة العباسية أبو العباس ، وكان أبوه محمد أول من اضطلع بنشر الدعوة العباسية في أواخر العصر الأموي حتى مات سنة 125 هـ ، وكان قد أوصى بالإمامة من بعده لابنه ابراهيم : وفي عهد ابراهيم دخل النزاع بين بني أمية وبني العباس في طور جديد [3]

---

[1]- ينظر: محمد الخصري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم ، الدولة العباسية ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1 ، 1424 هـ ، 2003م ، ص 57 .

[2]- ينظر : عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي و الغداري و المالي ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 64 .

[3]- ينظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام (السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي) ، ط 14 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1996 ، ص 23 .

لما قبض على ابراهيم الإمام وحبس في حران ثم قتل ، انتقلت أسرته إلى الكوفة سنة 132 هـ ، واستتروا بضعة أسابيع ، حتى أخرجهم أتباعهم ، وسلموا لأبي العباس الخلافة ، وكان ذلك يوم الثالث من شهر ربيع الأول سنة 132 هـ [1]

وفي يوم الجمعة أعتلى أبو العباس المنبر وجلس عمه داوود بن علي درجة دونه فخطب الخليفة قائلا : " الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له ... وخصنا برحم رسول الله وقرابته ... وأنتبنا من شجرته .. و وضعنا من الإسلام واهله في الموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم ، فقال .. " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" ، وقال أيضا : قل لا أسالك ما عليه أجرا إلا المودة في القربة" ، فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا .. بنا هدى الناس بعد ضلالتهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكهتم ، وأظهر بنا الحق ودحض بنا الباطل ، وأصلح منهم ما كان فاسدا... فتمم الله ذلك منه ومنحه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى ، فحووا مواريث الأمم ، فعدلوا فيها و وضعوها مواضعها وأعطوها أهلها .. ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فإبتزوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا و ولى نصرنا ... ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض " يا أهل الكوفة أنتم محل مجتنا ... أنتم الذين لم يتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم من ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا. وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح والثائر المبير" [2]

---

[1]– المرجع نفسه ، ص 24 .

[2]– جلال الدين ، عبد الرحمان السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، 1464هـ –2003 ، ص 205 .

وأثناء الخطبة تملكته الحمى فاضطر أن يقطع أول خطبة له فوق المنبر ، ولكن عمه داوود بن علي تكلم نيابة عنه ، ومن بين ما قاله في خطبه : " ولقد كانت أموركم ترمضنا ... ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم وخرقهم بكم واستدلالهم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ، لكن ذمة الله تعالى وذمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " يا أهل الكوفة إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا من أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا ، واظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنظرون... وأدالكم على أهل الشام ونقل إليكم السلطان وعز الاسلام" [1]

ويتضح لنا من خلال الخطبتان السمات المميزة للعصر الجديد : أن الثورة العباسية قامت باسم الاسلام ، ومن أجله وأنها تعني العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس ، وزاد من أعطيات الناس فجعلها 100 درهم شهريا ، وأكد بأن للعباسيين الحق في الخلافة لأنهم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وندد بسياسة الأمويين وظلمهم للناس ، كما حذر المتطرفين من أية حركة واعدا ومتوعدا بأنه السفاح المبيح والثائر المبيد ، كما أعلن حلول عهد العدل والإصلاح[2]

بوبع أبو العباس ، وكانت مهمته شاقة ، فمروان وجيوشه في الشام ، وابن هيبرة مع جيشه القوي في واسط ، أما أبي العباس مركزه ضعيف في الكوفة ووزيره الخلال لا يعتمد عليه ، ولكن أبا العباس أظهر مقدرة فائقة و وضع أس الدولة العباسية[3]

[1]– نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ، 1993 ، ص 95 .

[2]– فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية (عصر القوة و الإزدهار) ، ط1 ، دار الشروق ، عمان ، الأردن .

[3]– ينظر : عبد العزيز الدوزي ، العصر العباسي الأول ، ص 66 .

في 11 جمادى الأولى سنة 132 هـ ، التقى الجيشان ، الجيش الأموي و الجيش العباسي ، على نهر الزاب الكبير ، ودارت معركة حاسمة انتهت بانتصار العباسيين ، ومن هنا نجد أسباب هزيمة الأمويين هي ضعف معناوياتهم وقوة معناويات الخراسايين.

وعلينا أن نتذكر أن الحروب أنهكت جيش مروان وهدت قواه هذا إضافة إلى أن هجوم جيش بني العباس كان خاطفا وفجائيا ، فلم يكن في وسع مروان أن ينظم جنده ويشد قواه قبل أن ينزل إلى الميدان ، فضل مروان يهرب من مدينة إلى أخرى بين الجزيرة والشام ومصر ، حتى قتل في 27 ذي الحجة سنة 132 هـ في قرية بوصير [1]

ومن هنا نجد أبي العباسألقى خطبة في الشام بعد انتصارهم على الأمويين في معركة الزاب ، وقتل مروان آخر خلفاء بني أمية ، وقال فيها : " ألم تر إلى الذين بدلو نعمة الله كفرا ، واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار، نكص بكم –ياأهل الشام – آل حرب وآل مروان ، يتسكعون بكم الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلف ... ، فليفرخ روعكم ، ولتطئمن به داركم ، ولتعظكم مصارع أوائلكم ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا"[2]

قضى أبو العباس أكثر حياته في إحماد تللك الثورات التي كانت كثيرة فلم تكن هزيمة مروان وقتله منتهى متاعب العباسيين ، فإنه كان لا يزال في الأمة العربية قواد ضلعهم مع بني أمية ، ولا يزال عندهم شيء من القوة ، فكانوا يثورون إما خوفا على أنفسهم من بني العباس الذين أظهروا قوة شديدة في معاملة مغلوبيهم ، وإما طمعا في إعادة تلك الدولة العربية التي كان لهم منها نصيب وافر [3]

[1]– المرجع نفسه ، ص 67 .

[2]– حامد صادق قنيبي الأدب العباسي (النثر) ،ص 166.

[3]– ينظر: محمد الخصري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم ، الدولة العباسية ، ص 48 .

كانت حياة أبي العباس منفعة بحوادث القسوة التي لم يشهد التاريخ مثلها ، ومع بقايا بني أمية ومع غيرهم من أولياء الدولة الذين كان لهم الأثر المحمود في إحيائها.[1]

لقد كانت جيوش أبي العباس تستعد للجولة الأخيرة مع الأمويين ، كان عليه أن يثبت اقدام العباسيين في الحكم ، ورأى أن يستعين بإخوانه وأعمامه ، وابناء إخواته حتى لا يستأثر القواد والدعاة بالأمر دونهم ، ومن جهة أخرى أراد أن ينقل السلطة تدريجيا إلى أيدي أفراد العباسيين ، فعين عمه سليمان بن علي واليا البصرة وأعمالها ، وعمه اسماعيل بن علي كور الأهواز ، وعمه داوود بن علي الحجاز و اليمن بعد أن عزله عن الكوفة، وعمه عبد الله بن علي واليا على حرب مروان الثاني ، وأخاه أبو جعفر المنصور لقتال يزيد بن هيبرة.[2]

وبعد تخلص أبو العباس من خطر الأمويين العسكري ، كان عليه أن يتخلص من بقية منافسيه ، فطارد من بقي من بني أمية ، وكان من ساعده في هذا الشيء عبد الله بن علي في الشام ، وداوود بن علي في الحجاز فقتل عبد الله من ظفره به منهم في دمشق ، وارتكب أنواع الفضائع ، حتى نبش القبور ، وقتل حوالي ثمانين من رؤساء بني أمية عند نهر أبي فطرس (بين الأردن وفلسطين) ، وذلك بعد أن وعدهم بالعفو والصلات[3]ولم يفلت منهم إلا عبدالرحمان الداخل الذي أسس الدولة الأموية ببلاد الأندلس.[4]

وبعد ما قام أبو العباس بتصفية حسابه مع الأمويين ، رجع على منافسيه السياسي الذي أراده أن يملك ولا يحكم ، فأراد أبو العباس أن يقتل الخلال ، فنصحه أصحابه أن يستشير أبا مسلم ، فكتب إليه أبو العباس عن خيانة أبي سلمة فأجابه أبو مسلم : " إن كان رابك

---

[1]– المرجع نفسه ، ص 49 .

[2]– ينظر: عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العباسية ، دار ابن حزم ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 43 .

[3]– ينظر : عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ،ص ص 69، 70 .

[4]– ينظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ،ص 25 .

من ريب فاضرب عنقه" لكن الخليفة لم يفعل ذلك ، فطلب من أبي مسلم أن يرسل احد رجاله لقتل الخلال [1]

بالمناسبة أن أبو سلمة الخلال وزير آل محمد وداعية الدولة العباسية في الكوفة ، ويرجع السبب في التخلص منه هو محاولته نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين ، وقد قام أبي مسلم بالقضاء عليه وفق مؤامرة رسمها السفاح وهي قتله ، ولكن ليس من طرف السفاح ، وغنما من طرف الخوارج.[2]

أما علاقة الخليفة بابي مسلم ، هي أن أبي العباس كان يخاف سلطانه وحب أهل خراسان له ، لأنه لم يكن واليا فحسب ، إنما كان زعيما دينيا ومنقذا في نظر بعض الخراسانيين ، وفوق كل هذا كان أبو مسلم يتدخل في شؤون الدولة ، إذا كان له ممثل في البلاط اسمه أبو الجهم ، وكان الخليفة لا يعدو رأيه يقول الطبري : " وكان أبو الجهم عينا لأبي مسلم على أبي العباس" ، فلم يبق لأبي العباس إلا اتباع حيلة للتخلص من أبي مسلم لأنه بقي يتدخل في كل شيء حتى " ثقلت وطأته ... على أبي العباس ، وكثر خلافه وإياه ورده لأمره" [3]

فهنا أبو العباس أمر أخاه أن يتولى قتل أبي مسلم ، فخرج وقتله ، وقالوا أن الخوارج هم من قتله ولتغطية هذه المؤامرة قام الخليفة السفاح بإرسال أخيه ليصلي عليه وبهذا شاع بين العباسيين أن الخوارج هم من قتله.

وعلى الرغم من قصر خلافة أبي العباس ، فانه قضى على أكثر خصومه واستطاع تهدئة قسم من منافسيه مثل العلويين وبخاصة آل الحسن الذين أكرمهم غاية الاكرام ، ويظهر أبا العباس أنه كان يميل إلى اللين والمساومة مع أبي جعفر ، كما يظهر من

[1]– عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ،ص 70 .

[2]– ينظر: عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العباسية ،ص 48.

[3]– عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ،ص ص 71،72.

معاملته أبا العباس والعلويين ، وهنا ترد تسمية ب" السفاح" وأرى أنها نتيجة التباس بعض المؤرخين بين عبد الله بن محمد أبي العباس ، وعمه عبد الله بن علي ، فالخليفة أعلن عند بيعته " أنا السفاح المبيح" وأراد بذلك تهديد أعدائه ، ولم يعط هذا اللقب لسفكه الدماء، ولا يذكر أن أبي العباس التقتيل إلا قليلا ويقول المقدسي : " كان أبو العباس يكره الدماء" ، ما يدل على أنه لم يكن بطبعه سفاكا.

وكان أبو العباس ذا شخصية قوية ، ولعل لهذه عنده أثر لتوليته العهد قبل أخيه أبي جعفر ، الذي كان أكبر منه سنا.[1]

2-1-3 أخلاقه صفاته و وفاته:

أن أبي العباس السفاح ، كان جميلا وسيما ، وأنه كان كريما حليما وقورا، عاقلا، كاملا، كبير الحياء، حسن الأخلاق.

وهذا ما يصفه بعض المؤرخين مثال ذلك:

يقول الطبري : " كان السفاح مجعد الشعر ، طويلا أبيض ، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية"

يقول السيوطي : كان السفاح أسخى الناس ، ما وعد عدة ، فأخرها عن وقتها ، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها"

يقول اليعقوبي : " وكان .. حليما جوادا ، وصولا لذوي أرحامه."

كان السفاح يشجع الأدب والغناء ، ويجزل العطاء على الشعراء والمغنين.

كان السفاح إذا أحضر طعامه أبسط ما يكون وجها ، فكان ابراهيم الكندي إذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله ، فقال له السفاح يوما : يا ابراهيم ما

[1]- ينظر ، المرجع نفسه ، ص 75 – 76 .

دعاك إلى ان تشغلني عن طعامي بحوائجك؟ قال : يدعوني إلى ذلك التماس النجح لما أسأل . قال أبو العباس : " انك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة".[1]

أما وفاته : بقي السفاح في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالجدري في ذي الحجة سنة ستة وثلاثين ومائة بمدينة الأنبار التي اتخذها قاعدة بخلافته ، وكان عمره آنذاك ثلاث وثلاثون سنة ، وصلى عليه عمه عيسى بن علي ودفن بالأنبار العتيقة في قصره ، وفي السنة التي توفي فيها عهد إلى أخيه أبي جعفر الخلافة.[2]

2-2-موضوعات هارون الرشيد وأهم ما جاء في خطبته:

2-2-1 : نسبه وبيعته:

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي وأمه أم الهادي ولد بالري سنة 145 هـ ، ولما شب كان أبوه يرشحه للخلافة ، فولاه مهام الأمور. جعله أمير الصائفة (163 و 165) وفي سنة (166) جعله أبوه على عهد بعد الهادي ، وفي سنة 169 هـ وهي السنة التي توفي فيها المهدي أراد أن يقدمه على الهادي لما ظهر من شجاعة وعلو شأنه فحالت منية المهدي دون ذلك.

أما بيعته ، بويع بالخلافة يوم أن مات أخوه الهادي في (14 ربيع الأول سنة 170) و (14 سبتمبر 186) وسنه (25 سنة) ، ولم يزل خليفة إلى ان توفي في ثالث جمادى الأخرة سنة 194 (24 مارس سنة808) فكانت مدته (23 سنة وشهرين و18 يوما).[3]

---

[1]-ينظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ،ص 25- 26 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 28 .

[3]- محمد الخصري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم ، الدولة العباسية ، ص 101 .

2-2-2 : موضوعات هارون الرشيد وارتباطاته السياسية وأهم ما جاء في خطبته:

كان من حسن حظ الرشيد أن لا تطل خلافة الهادي فمات سريعا، ومات فجأة ... فلم يغير البيعة، وتولى الرشيد مكانه ، وجلس على العرش ، ونال حظوة عظمى ، فلم يعرف الغرب عن الشرق كما عرف عن الرشيد ، وذلك لأسباب كثيرة أولها : شدة العلاقة التجارية والسياسية بين الرشيد وملوك أوروبا في ذلك العهد، وثانيهما : ما صورته كتب الأدب والشعر عن مجالس الرشيد ، ثالثهما : القصص ، والحكايات التي روتها عنه ألف ليلة وليلة من صور رائعة جذابة.[1]

يمثل عصر الرشيد ، عصر نقلة في المجتمع العباسي ، عرف الرشيد بالتدين الشديد والمحافظة على التقاليد الشرعية ، فقد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة ، ويتصدق بألف درهم من ماله ، بالإضافة إلى ما يجود به على الناس ، كما أنه لا يتخلف عن الحج سنويا ، إلا إذا كان مشغولا بالجهاد.[2]حيث قال عنه النهرواني : " أعلم إن ما يتحققه العاقل أن الدنيا دار الأكدار وأن أخف الخلق بلاء وألما الفقراء ، واعظم الناس تعبا وهما وغما هم الملوك والأمراء...إن هارون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع ومملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة : امطري حيث شئت فإن خراج الأرض التي تمطرين فيها يجئ إلى وكان مع ذلك أتعبهم خاطرا و أشغلهم قلبا."[3]

وهذا ما نجده في خطبته التي قال فيها : " الحمد لله الذي نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقا ، ونتوكل عليه مفوضين إليه.

---

[1]- ينظر : أحمد أمين ، هارون الرشيد ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2012 ، ص 15 .

[2]- ينظر : محمد حسن العيدوس ، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العباسية ، ط1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2010 ، ص 145.

[3]- سلامة موسى ، أشهر الخطب و مشاهير الخطباء ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص 32 .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزا بالجنة ونجاة من النار ، وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار، يوم البعث ويوم التغابن ويوم التلاقي ويوم التنادي، يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد في حسنة ، في قوله تعالى : "**يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوب لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلمَ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**" وقوله أيضا : "**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ**" حصنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، وإياكم والأماني ، فقد غزت وأردت وأوبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فرغب ربكم عن الأمثال والوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلا فجيلا ، وعهدتم الاباء والأبناء والأحبة و العشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ،لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم. فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب قوله تعالى : "**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ".[1]

جاءت هذه الخطبة ، بالوصية بالتقوى لأنها أساس الايمان ومفتاح النجاة عند الله ، وبها تنال رحمة الله ، كما حذر من كربات يوم القيامة، والحث على طاعة الله تعالى التي بها ينال العبد الفوز بالجنة ، والحذر من المعاصي التي تهلك صاحبها ، كما أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى ضرب لعباده الأمثال ورغب عباده بالوعد وحذرهم بالوعيد والحذر من أماني الشيطان التي تقوم على الغرور والتعلق بالدنيا ، والحث على التوبة الصادقة ، والوفاء بالعهود والوعود ، لأنها أساس الدين ، وأداء الأمانات لأهلها وعلى رأسها أمانة التكليف التي أخذ الله ميثاقها على عباده عند ما كانوا في الأصلاب ، كما نجد الاستشهاد بالقرآن الكريم والدعوة إلى الالتزام به والاعتصام بهديه.

[1]– أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص 177.

يعتبر هارون الرشيد من أشهر خلفاء بني العباس ، فقد كان في عهده واسطة عهد المدة العباسية ، وصلت فيه الخلافة إلى أفخم درجاتها ، صولة وسلطانا وثورة وعلما وأدبا ، وارتفعت فيه حضارة الدولة العلمية والأدبية والمادية إلى أرقى درجاتها.[1]

فقد سمي عهد الرشيد بالعصر الذهبي للدولة العباسية ، وذلك بما فيها من حضارة وتطور وازدهار ورقي ، تتمثل بداية خلافته بانحلال الاداري والتفكك السياسي ،ومن فتن وثورات ، وظهور حركات مناهضة من العلوية التي كانت بقيادة ادريس بن عبد الله إلى حركات أموية في الأندلس ، ولكن ما يميز عصره هو ظهور البرامكة ، فمن هم البرامكة؟ وما صلتهم بالخليفة هارون الرشيد؟

البرامكة ، أسرة إيرانية من بلخ ، وينسبون إلى برمك ، وهو لقب لرئيس سدنة ، معهد النوبهار في بلخ ، وهذا المعهد من المعاهد البوذية التي تعبد فيها آلهتهم حيث يشير ابن الفقيه أنه معبد للأصنام[2].

وما يهمنا هنا هو اتصال البرامكة بالدولة العباسية ، واسلام قائدهم خالد البرمكي والتحاقه بالدعوة العباسية ثم خدمته للدولة في عهدي أبي العباس والمنصور، ثم ازدياد نفوذ يحي بن خالد البرمكي في دولة المهدي واتصاله بالخيرزان ، زوجة المهدي وعلاقته الوثيقة بها وبابنها هارون الرشيد ، حيث أصبح يحي البرمكي مربيا لهارون ، ومشرفا على شؤونه ومرافقا له في حملاته وسفراته ، بل أن الذي نود التأكيد عليه في هذا المجال هو دورهم في عهد الرشيد.

فقد قلد هارون الرشيد كاتبه الوفي المخلص الوزارة بعد اعتلائه العرش ، وفوض إليه أمور دولته واستعان بأولاده الأربعة هم جعفر والفضل ، محمد وموسى[3]

---

[1]– ينظر: محمد الخصري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم ، الدولة العباسية ، ص 101 ، 102 .

[2]– ينظر، فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص 196.

[3]– ينظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ،ص 50 .

وقد اهتم هارون الرشيد بهؤلاء الأربعة وكل واحد فيهم كانت له مرتبة خاصة في قلب هارون.

كان الفضل أكبر أولاد يحي ، فقد كان ينوب على أبيه جلائل أعماله ، فلما ولد الأمين ، عهد الرشيد إلى الفضل بتربيته ، وفي سنة 176 ندبه لحرب يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي الذي ثار في بلاد الديلم وفي سنة 178 هـ ولاه هارون بلاد خراسان ، فقضى على الفتنة التي قامت بها ، وأحسن معاملة أهلها وبني بها المساجد ، ثم عاد إلى بغداد بعد سنة. [1]

أما جعفر بن يحي ، فقد اشتهر بالفصاحة والفطنة والحلم والكرم ، وكان الرشيد يأنس به لسهولة أخلاقه ، ويؤثره على أخيه الفضل لشراسة أخلاقه ، فذات يوم قال الرشيد إلى يحي يوما : يا أبي إما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ، ولا يسمون جعفر بذلك؟ فقال يحي لأن الفضل يخلفني ، فقال فضم إلى جعفر أعمالا كأعمال الفضل ،فقال يحي : إن خدمتك ومنادمتك يشغلانه عن ذلك ، فجعل إليه أمر دار الرشيد ، فسمي بالوزير الصغير أيضا ، ولم يقتصر الرشيد في حبه لجعفربن يحي فقد ولاه مصر في سنة 176 هـ و في سنة 186 أرسله الى بلاد الشام ، حين أثار أهلها الفتن و الفلاقل ، فأزال أسباب التذمر و اطمأنت خواطر الأهلين ، فعلت منزلته عند الرشيد ، فأسند اليه في هذه السنة ولاية خرسان ، ثم ولاه حراسة الجيش [2]

- أما موسى ، فكان أشد ابناء يحى البرمكي بأسا ، كما كان كاملا سريا و قائدا محنكا ، ولاه الرشيد بلاد الشام سنة 176 هـ ، فأصلح أمورها و هدأت على يديه أحوالها ، و بعدها أوقع به عيسى والي خراسان عند الرشيد ، ورماه بتهمة اثارة الاضطرابات فيها و الخروج على الخلافة ، و اختفى موسى بسبب دين عليه

[1]– المرجع نفسه ، ص 51 .

[2]– ينظر، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ص51.

فازداد الرشيد اعتقادا بصدق هذه الوشايات ، و أمر به فحبس في الكوفة ، ولم يطلق سراحه الا بفضل أمه و ضمان أبيه له

- أما محمد بن يحى فكان سريا ، بعيد الهمة ، و لم يكن له من الشهرة ما كان لإخوانه[1]
- ولكن في سنة 187 هـ ، سقط البرامكة حين قرر الرشيد ذلك فقد أورد المؤرخون العديد من الأسباب التي أدت إلى سقوط البرامكة ، ولكن السبب الحقيقي هو استبدادهم بالأمور دون الرشيد ، ومشاركة الخليفة في صلاحيات سياسية و مالية ، كما أن سقوطهم لم يكن مكيدة أو انفعال مفاجئ ، بل كان تدبيرا مخططاله ، بسبب أحداث عبر عنها الرشيد بقوله : ((استبد بالأمور دوني و أمضاها على غير رأيي و عمل بها احبه دون محبتي)) [2]
- وفي ختام حديثنا عن هارون و ارتباطاته السياسية ، يمكننا أن نلقي نظرة عامة على حكم الرشيد ، و أن نعتبره في مصاف أعاظم الملوك اذ كان قائدا موفقا ، وخليفة يهتم بخير الرعية ، فكان أول من طلب من الفقهاء ، كتابة رسالة في الخراج و طرق جمعه و صرفه بأساليب عادلة و يعتني بنشر العدل ، و يشجع حركة الترجمة ، و لم يتوان في القيام بواجبه.

– و أفسح المجال كثيرا لعواطفه في سياسته ، و بخاصة في علاقته بالبرامكة ، فكان لذلك أثر في شدة نكبتهم ، و في تكوين حزبين سياسيين في البلاط ، تتناحر بالدسائس ، ماعاد بالضرر الجسيم على الدولة بعد وفاته.[3]

---

[1]– المرجع نفسه ، ص52–53.

[2]– ينظر، فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص200.

[3]– ينظر ، عبد العزيز الدوزي ، العصر العباسي الأول ، ص183.

2-2-3 أخلاقه وصفاته و وفاته:

- يتصف الرشيد على أنه رجل دين ، اذ أنه اذا حج معه الفقهاء و أبنائهم ، و اذا لم يحج عنه ثلاثمئة رجل بالنفقة السابغة و الكسوة الباهرة
- كان يسمع وعظ الواعظين وهو عند ذلك رقيق القلب سريع الدمعة
- وأما جهاده ، فانه كان لا يترك الخروج مع جنده بل كان غالبا في مقدمته حتى لا يعتاد الراحة ولا يقعده الترف عن القيام بهذا الواجب حتى كان من ضمن مأثره أنه كان يغزو سنة و يحج أخرى .
- كانت الخلافة لعهده في أعلى درجات مهابتها و احترامها في الداخل و الخارج ، كان الرشيد يقتفي أثار المنصور و يعمل بها الا في بذل المال وكان لا يضيع عنده احسان محسن و لا يؤخر ذلك في أول ما يجيب ثوابه ، و كان يحب الشعر و الشعراء ، و يميل الى أهل الأدب .
- و اشتهر أن الرشيد كان يشرب النبيذ الذي يرخص أهل العراق في شرابه و كان يسمع الغناء و يثيب عليه أعظم ثواب [1]
- الرشيد عرف في عصره أنه كان مثقفا ثقافة واسعة ، كان كبير العقل عالي الهمة ، كريم النفس
- وربما كانت شهوته أكبر منه ، و حظه أكبر من صفاته ، و لكنها الدنيا اذا أقبلت على أحد وهبته محاسن غيره ، و اذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه . اذ نجد أن خلفاء العصر العباسي الأول كلهم لهم صفة تميزه عن الأخر [2]
- أما وفاته ، مات الرشيد في مدينة طوس سنة 193 هـ و هو متوجه لإجهاد الثورة التي قام بها حفيد نصر بن سيار في المشرق ، و ترك الخلافة محل نزاع بين

[1]-ينظر، محمد الخصري بك ، الدولة العباسية ، ص156-157.

[2]-ينظر ، أحمد أمين ، هارون الرشيد ، ص 77-78.

أبنيه الأمين و المأمون[1]

3-2: موضوعات المأمون و أهم ما جاء في خطبته

3-2-1: نسبه و بيعته :

هو عبد الله أبو العباس ابن الرشيد، ولد سنة سبعين و مائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول، و هي الليلة التي مات فيها الهادي ، و استخلف أبوه ، و أمه أم ولد اسمها مراجل ماتت في نفاسها به ، وقرأ العلم في صغره [2]

أما بيعته ، بويع المأمون بالخلافة العامة ، فكانت خلافته عشرين سنة و خمسة أشهر و ثلاثة أيام ، اقام منها ببلاد خراسان من تاريخ ولايته الى منتصف صغر سنه سنة 204 هـ وهو تاريخ قدومه بغداد و أقام الباقي ببغداد خاصرة الخلافة العباسية [3]

3-2-2: موضوعاته و ارتباطاته السياسية و أهم ما جاء في خطبته :

- كان المأمون من عظماء الخلفاء و من عقلاء الرجال ، و أكثر ما يميز عصره بالإضافة الى النشاط العلمي و التطور الحضاري ، اختراعات كثيرة في مملكته منها :
- أنه أول من فحص منهم في علوم الحكمة و حصل كتبها و أمر بنقلها الى العربية و شهرها و حل اقليدس و نظر في علوم الأوائل ، و تكلم في الطب و قرب أهل الحكمة.
- الزام الناس أن يقولو بخلق القران أي أن القران مخلوق بمعنى غير أزلي .

[1]- نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، ص 167.

[2]- جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 243.

[3]- ينظر ، محمد الخصري بك ، الدولة العباسية ، ص198.

- نقل الدولة من بني عباس الى بني علي عليه السلام [1]

ولا يسعنا هنا الا أن نعده في عداد الخطباء (اذا كانت الخطابة من شعار الأئمة) ، وله خطب كثيرة مثال ذلك خطبته التي خطبها بخراسان حين بلغه قتل أخيه الأمين و أقبل الناس لتسليم عليه بالخلافة ، و خطبته التي ألقاها يوم الجمعة قائلا فيها : ((الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، و مستوجبه على خلقه ، أحمده و أستعينه و أؤمن به و أتوكل عليه ، و أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ، أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، و العمل لما عنده و التنجز لوعده ، و الخوف لوعيده ، فانه لا يسلم الا من أتقاه و رجاه ، و عمل له و أرضاه ، فاتقوا الله عباد الله و بادروا أجالكم بأعمالكم ، و ابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، و ترحلوا فقد جد بكم ، و استعدوا للموت فقد أظلكم ، و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ، و علموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فان الله لم يخلقكم عبثا و لم يترككم سدى ، و ما بين أحدكم و بين الجنة و النار الا الموت ، أن ينزل به، و ان غاية تنقصها اللحظة و تهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة ، و ان غائبا يحدوه الجديدان الليل و النهار لحري بسرعة الأوبة ، و ان قادما يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق أفضل العدة ، فاتقى عبد ربه ، و نصح نفسه ، و قدم توبته ، و غلب شهوته ، فان أجله مستور عنه ، و أمله خادع له ، و الشيطان موكل به : يزين له المعصية ليركبها ، و يمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها فيالها حسرة على ذي غفلة : أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤديه أيامه الى شقوة . نسأل الله أن يجعلنا و اياكم ممن لا تبطله نعمة ، و لا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزعة ، انه سميع الدعاء ، و بيده الخير ، و انه فعال لما يريد[2]

---

[1]- ينظر، محمد الخصري بك ، الدولة العباسية ، ص166.

[2]- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، المجلد الثاني 1925، ص 253.

- فنلاحظ أن الخطبة المأمون بدأت بالحمد لله و الثناء عليه ، و بعدها بالوصية بالتقوى و العمل لما عند الله ابتغاء مرضاته للفوز بالجنة و النجاة من النار ، و التحذير من الركون الى الدنيا و زينتها لأن فتنتها كبيرة و مهلكة و انها ليست دار اقامة ، و الله سبحانه لم يخلق الخلق عبثا و لم يتركم سدى ، و نجد كذلك الترغيب بالجنة ، و العمل لها ليكون من أهلها و الترهيب من الغفلة عن العمل للأخرة ، كما حذر من خداع الشيطان و حيله ، فهو عدو لبني أدم يزين لهم المعاصي ليركبوها يمنيهم بالتوبة ليؤجلها ، و ختم الخطبة بالدعاء له و للمسليمين و سأل الله تعالى الا تبطره النعم و لا تقصر به عن طاعة الله تعالى
- فهنا اذا تأملنا أفكار هذا النص من خطبة المأمون أدركنا سر الايمان و عظمته ، و كيف يصنع في القلوب اليقظة و الضمائر الحية و النفوس الزكية و الأرواح المطمئنة أما ارتباطته السياسية ، حاول المأمون في بداية حكمه التوفيق بين العباسيين و العلويين ففي سنة احدى و مائتين ، خلع أخاه المؤتمن من العهد ، و جعل ولي العهد من بعده علي الرضى ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ، حمله ذلك على افراطه في التشييع حتى قيل : انه هم أن يخلع نفسه و يفوض الأمر اليه و هو الذي لقبه الرضى ، و ضرب الدراهم باسمه ، و زوجته و ابنته ، و كتب الى الأفاق بذلك و أمر بترك السواد و لبس الخضرة ، فاشتد ذلك على بن العباس جدا ، و خرجوا عليه و بايعوا ابراهيم بن المهدي ، و لقب ((المبارك)) فجهز المأمون لقتاله ، و جرت أمور و حروب ، و سار المأمون الى نحو العراق ، فلم ينشب علي الرضى أن مات ، فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم أن الذي نقموا عليه قد مات ، و أعطى المأمون العهد لإبراهيم و لكنه اختفى فكانت أيامه سنتين الا ايام ، ووصل المأمون بغداد في صفر فكلمه العباسيون و غيرهم في العود الى لبس السواد و ترك الخضرة ،[1] فاستجاب لهم ، و مع ذلك لم يغير

[1]- جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 244-245.

المأمون سياسته نحو العلويين بعد أن رجع الى السواد الذي هو شعار العباسيين الى أن قامباليمن عبد الرحمان بن عبد الله العلوي سنة 207 هـ ، فبعث اليه المأمون أحد رجاله ، فأمنه و ألبسه السواد [1]

- ان مشاعر المأمون الودية تجاه العلويين لم تنته كليا ، فقد أصدر منشورا سنة 212هـ 827 م – ذكر فيه الامام علي رضي الله عنه مشيرا الى أنه خير الخلفاء الله بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم و أولى الناس بالخلافة))
- ان بيعة المأمون بولاية العهد لعلي الرضى ستبقى ظاهرة سياسية فريدة في التاريخ مطالع العصر العباسي ، كما أن هذه الظاهرة تعكس شخصية المأمون ذاتها و التناقض الواضح فيها بيم سلوكه و أخلاقه سلوكه الذي يهدف الى ضمان مصلحة العباسيين و عواطفه الميالة الى العلويين [2]
- و كذلك نجد ما يميز عصر المأمون هو دخوله في حرب مع الروم ، ففتح حصن قرة عنوة ،و حصن ماجدة ، ثم سار الى دمشق ، و افتتح عدة حصون . ثم توجه الى مصر و دخلها فهو أو خلفاء من دخلها من الخلفاء العباسيين ، ثم عاد في سنة سبعة عشر الى دمشق و الروم ، و في سنة ثمان عشر ، امتحن الناس بالقول لخلقالقرآن ، فكتب الى نائبه على بغداد اسحاق بن براهيم الخزاعي ، ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء ، كتابا يقول فيه: وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم و السواد الأكبر من حشوة الرعية و سفلة العامة ممن لا نظر له و لا رواية ، ولا استضاءة بنور العلم و برهانه ، أهل جهالة بالله ، و عمى عنه ، و ضلالة عن حقيقة دينية ، و قصور أن يقدروا الله حق قدره ،

[1]– ينظر ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ص58–59.

[2]– ينظر ، فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص255.

و يعرفونه كنة معرفة ، و يفرقوا بينه و بين خلقه ، و ذلك ساووا بين الله و بين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله و يخترعه[1]

قال الله تعالى : (((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) (الزخرف :3)[2] و قوله أيضا :

'((**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ**)) (طه 99)[3]– والله سبحانه و تعالى محكم كتابه ، و مفصله ، فهو خالقه و مبتدعه

- و كذلك نجد في عهده خلع أخاه القاسم من العهد بعد انتصاره على الامين ، و كتب منشورا بذلك في الربيع الأول سنة 198هـ ، وفي مرضه الأخير تجاوز ابنه العباس و عهد لأخيه أبي إسحاق المعتصم و أوصاه بعدة أمور تكمن ذلك في :
- تعضيد القول بخلق القرآن
- الاهتمام بشؤون جمهور الرعية
- التعجيل بالرجوع إلى العراق
- الاهتمام بالشغور و العواصم ، و بمن فيها من المقاتلة
- الرفق بالعلويين : ((فأحسن صحبتهم و تجاوز عن مسيئهم و أقبل عنمحسنهم ، و صلاتهم فلا تغفلها في كلها سنة عند محلها)) و هذه أهم وصية تعطي خلاصة تجارب المأمون ، ونظرته الى السياسة الرشيدة التي تحل بها المشاكل التي كانت تواجه الدولة في أواخر أيام حياته [4]
- 3-3-3: أخلاقه ، صفاته ووفاته :
- كان المأمون يتحلى بكثير من الصفات التي امتاز بها سائر خلفاء العباسيين
- ميله الى العفو و كراهيته للانتقام ، مثال ذلك على ابراهيم بن المهدي الذي تربع في كرسي الخلافة .

---

[1]– ينظر ، جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص246.

[2]–سورة الزخرفة، الآية 3.

[3]– سورة طه ، الآية 99.

[4]– عبد العزيز الدوزي ، العصر العباسي الأول ، ص225.

- كان حاضر البديهة سريع الجواب .
- كان يميل الى الاقناع في الجدل و المناقشة [1]
- عرف بأنه أفضل رجال بني العباس حزما ، و عزما ، و حلما و علما و رأيا دماء ، وهيبة و شجاعة ، و سؤددا و سماحة و له محاسن و سيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن .
- كان فصيحا ، يقول معاوية بعمره ، و عبد الملك بحجاجه ، و أنا بنفسي ، و كان يقال : لبني العباس فاتحة وواسطة ، و خاتمة ، فالفاتحة السفاح ، و الواسطة ، المأمون ،، والخاتمة المعتضد ، وقيل : أنه ختم في بعض الرمضانيات ثلاثة وثلاثين ختمة [2].

أما وفاته بينما كان المأمون ببلاد الروم في أخر غزواته وهو بالبدندون شمالي طرطوس أصابته حمى لم تمهله كثيرا وفي 18 رجب سنة 218 ، أدركته منيته فحمل الى طرطوس ، و دفن بها ، و كان سنه اذ توفي 48 سنة [3]

- و تكمن نهاية العصر العباسي الأول باعتبار أن حكم المأمون هو نهاية العصر العباسي الأول سياسي و ذلك للاعتبارات التالية :

1- كان حكم المأمون نهاية فترة النفوذ الإداري و السياسي للفرس في جسم الدولة العباسية .

2-بعد وفاة المأمون بدأت سيادة العناصر العسكرية و أخذها الدور الرئيسي فغي تسيير دقة الحكم و تقرير سياسة الدولة بعد أن كانت تلك العناصر ثانوية أو ميسرة من قبل الوزراء و الكتاب

[1]- ينظر، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ص63-64.

[2]- ينظر ، جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص244.

[3]- محمد الخصري بك ، الدولة العباسية ، ص 256.

3-بعد المأمون انتهى ذلك التعاون الوثيق بين الخراسانيين و العباسيين ، و بدأ دور نشوء الامارات المستقلة

4-شهد حكم المأمون نهاية تلك الثورات العنيفة المسلحة للعلويين و بدء دعاية سرية باسمهم و توسعها التدريجي ، و قد أدى الى ذلك قيام الدولة الفاطمية [1]

[1]- ينظر، عبد العزيز الدوزي ، العصر العباسي الأول ، ص 226.

الفصل الثاني : الخصائص الأسلوبية للخطب الشهيرة في العصر العباسي الأول (أبي العباس – هارون الرشيد والمأمون)

3-البناء الشكلي

1-2 : مقدمة

1-3 : عرض

1-4 : خاتمة

4-جماليات اللغوية لخطب العصر العباسي الأول

2-1 : الغة

2-1-1 : السهولة والمباشر

2-1-2 : المصطلحات الدينية

2-2 الأسلوب

2-2-1 : الوضوح.

2-2-2 : الأسلوب الانشائي

2-2-3 : الأسلوب الخبري

2-3 الصور البيانية

2-3-1 : الاستعارة

2-3-2 : الكناية

2-4 المحسنات البديعية

2-4-1 : الطباق

2-4-2 : السجع

3-البناء الشكلي للخطبة :

1-1 – مقدمة :

هي مبدأ الخطبة في الحقيقة ، ونعني بها الكلام الذي يقصد منه تهيئة نفوس السامعين لتلقي ما سيلقي إليهم بالتسليم[1].

وبمعنى آخر، هي فاتحة الكلام ومرجع فحواه ولما كانت بمثابة الأساس من البناء والرأس من الأعضاء وجب أن تكون محكمة الوضع مناسبة مشوقة للسامعين إلى بسط الكلام فيما نشير إليه[2] وهي أول ما يصل السامع من كلمات المتحدث لافتتاح خطابه.[3]

ومن هنا نجد أن ما يجب أن تفتح به الخطبة أو تحتوي عليها هي : البسملة ، الحمد لله ، الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنجد الجاحظ يقول : "إن خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان ، من التابعين بإحسان، مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالحمد بالبتراء".[4]

بمعنى أن المقدمة يجب أن تفصح عن الموضوع ، وعن هدف الخطيب وأن تبدا بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، مثال ذلك نجد مقدمة خطبة أبي العباس السفاح التي قال فيها : " الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له ... وخصنا برحم رسول الله وقرابته ... وأنبتنا من شجرته.." وكانت مقدمته في هذه الخطبة طويلة.

---

[1]– أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، دار النهضة ، مصر ، د ن ، 2002 ، ص 117.

[2]– ينظر : حسين عبد العالي ، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول ، ص 103.

[3]–نزار نبيل أبو منشار الحرباوي أسس منهجية في تطوير مهارة الخطابة ، د ط ، د ت ، د ب ، ص 13.

[4]– الجاحظ البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، مكضبةالجاحظ ، ص 62.

أما مقدمة خطبة هارون الرشيد جاءت كالتالي: " الحمد لله الذي نحمده على نعمه ، ونستعين على طاعته ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقا ، ونتوكل عليه مفوضين إليه".

أما المأمون فجاءت مقدمة خطبته كالتالي: " الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه و أؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"

فجاءت هذه الألفاظ والعبارات من حسن الانتقاء ما يدل على موضوع الخطبة ومقصودها.

وأكثر الخطب السياسية والحربية تخلو من المقدمات في هذا العصر، وهذه الظاهرة ترجع إلى أن الخطيب يراعي ظرف المقام ، وما يقتضيه من إيجاز، فهو يريد إيصال فكرته إلى السامعين بأيسر لفظ ، لهذا نجده يستغني عن المقدمة، وكثيرا ما يبدأ الخطيب في مثل هذه الخطب ، كلامه بآية من القرآن الكريم ، وغالبا ما يختار التي يراها مناسبة، مثال ذلك نجد خطبة أبي العباس التي قال فيها: " ألم تر إلى الذين بدلو نعمة الله كفرا، وأحلو قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس دار القرار."[1] ويبدو بوضوح أن الآية التي ابتدأ بها السفاح جاءت ملائمة للموضوع الذي يريد عرضه على السامعين فالآية تشير إلى الذين ظلموا وتجبروا.

[1]– ينظر : حسين عبد العالي ، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول ، ص 104.

1-2: العرض (المتن):

هو عرض القضية التي يريد الخطيب إثباتها ، إذ يكشف غاية كلامه للحضور[1] وبالتالي فهو الجزء الرئيس من الخطبة ، وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين، ومحاولة إقناعهم بها من خلال اختيار اللفظ المناسب لإيصال المعنى الذي يتلائم مع الجو العام للخطبة ومراعاة وحدة الموضوع.

هو صلب الموضوع الذي يريد المتحدث الخوض فيه، سياسيا، معرفيا، أو ثقافيا أو اجتماعيا ... والعرض هو متن الخطبة المراد إلقاؤها ، وفيه يتم وضع الأفكار والمفاهيم والقيم التي يريد المتحدث إيصالها للناس والجمهور من خلال حديثه.

وللعرض أو المتن سمات يتصف بها الخطيب أو الشخص المتحدث من حيث القوة والأثر وبلاغة اللغة وحسن الاستدلال ، وتتمثل هذه السمات:

- وضع الأهداف المراد إيصالها للناس من خلال الحديث بصورة واضحة وترتيبها حسب الأولوية.
- البدء بقوة وبلاغة وفصاحة.
- عبارات الجذب والانتباه.

وكل تلك العبارات تمثل فاصلا بين الفقرات أو عنوانا لتنبيه السامع لأهمية ما سيأتي.[2]

من هنا نجد الخطباء في العصر العباسي إذا أنهوا من المقدمة ، دخلوا إلى صلب الموضوع وهو الغرض الرئيس الذي من أجله ألف الخطيب خطبته، فأكثر الخطباء في هذا العصر يحفلون بالانتقال ، وهو ما يطلق عليه بحسن التخلص، فالخطيب ينزع من

[1]- اليسوعي ، لويس شيخو ، علم الأدب في الخطابة ، ط3 ، ج2 ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1926 ، ص 96.

[2]-نزار نبيل أبو منشار الحرباوي ، أسس منهجية في تطوير مهارة الخطيب ، ص 15.

المقدمة إلى بسط الموضوع، مع مراعاة ما يتناسب بينهما، لأن السامع حينئذ يكون مترقبا للانتقال من براعة الاستهلال إلى الغرض الرئيس بما يحرك من نشاطه ويعينه على الاصغاء وغالبا ما يتلو عبارات التحميد والتمجيد مثال ذلك عبارة (أوصيكم عباد الله بتقوى الله) التي جاءت في خطبة المأمون وكذلك في خطبة هارون الرشيد.

وقد يأتي الخطيب بعبارة (أيها الناس) أو (يا أهل) يؤتي بها عادة في مواسم الحج والمحافل العظام، حيث يجد الخطيب متنفسا له في إبراز فكرته، ومن ذلك خطبة أبي العباس السفاح التي خطبها عند ما اعتلى المنبر وترأس أهل الكوفة قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا)، ويؤتى بهذا الفصل الخطاب ، وإعداد السامعين إلى ما يسرد بعدها.[1]

1-3: الخاتمة:

هو آخر ما ينتهي إلى آذان السامعين من كلام الخطيب ويسمى حسن الانتهاء وحسن المقطع، وكما يجب التألق في المطلع تجد البراعة في المقطع إذ هو الأثر الباقي في نفوس السامعين بعد الاتمام وآخر ما يتردد صداه في قلوبهم وبه تتم الفائدة.[2]

وفي مفهوم آخر ، الخاتمة هي آخر ما يعيه السمع ويرسم في النفس من الخطبة، وبها يدرك الخطيب مراده ، والخطب التي وصلت إلينا من هذا العصر قد تعددت أشكالها وتنوعت أغراضها تبعا لاختلاف موضوعات هذه الخطب، من أنواع الخواتيم نجد مثلا:

الاستشهاد بالقرآن: وقد يختم الخطيب خطبته بآية من القرآن الكريم مثال ذلك نجد ما ختم به هارون الرشيد في خطبته فقال:" **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**".

---

[1]-حسين عبد العالي ، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول ، ص 104 ، 105.

[2]-علي محفوظ ، فن الخطابة ، ص 57.

الدعاء: وقد ينهي الخطيب خطبته بالدعاء، مثال ذلك: خطبة أبي العباس السفاح التي قال فيها: " أراكم الله ما كنتم به تنتظرون ... وأدالكم على أهل الشام ونقل إليكم السلطان وعز الاسلام".

وكذلك نجد الدعاء، في خطبة المأمون التي ختم بها قائلا:" نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعته غفلة، ولا تحل به بعد الموت فزعه ، إنه سميع الدعاء ، وبيده الخير، وإنه فعال لما يريد"[1]

2-2 : جماليات لغوية لخطب العصر العباسي الأول:

2-1 : اللغة:

" لقد كانت اللغة ولا تزال إحدى القضايا الرئيسية المثارة بصفة متجددة في مجال الأبحاث النقدية... أو على مستوى الأعمال الأدبية، وذلك أن اللغة كائن حي متطور مع الحياة والواقع ... لأن اللغة في الأدب ليست مجرد تعبير عن معنى محدد من خلال ألفاظ مرصوصة أو قوالب لغوية جاهزة بل هي خلايا لفظية ومعنوية وعقلية و وجدانية تتفاعل داخل الجسم الحي للعمل الأدبي."[2]

كما تعرف اللغة أيضا بانها : " نظام اجتماعي فكري يشرح العلاقة الاعتباطية بين الرمز والمعنى ... وأنها نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية... فهي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني لتدركها الأذن وليستعان بها على توصيل دلالات اصطلاحية..."[3]

---

[1]- ينظر : حسين عبد العالي ، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول ، ص 105.

[2]-نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 290.

[3]- محمد المصري ، مجد البرازي ، اللغة العربية (دراسات تطبيقية) ، دار المستقبل للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2011، ص 34.

إذ تعد اللغة وسيلة حتمية للحياة اذ بدونها لا يتم التواصل بين الناس و قد عرفها ابن جني بأنها : ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) [1]و يظهر ذلك في شتى مجالات الحياة الدينية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية .

- ومن هذا تغدوا اللغة وسيلة التعبير و التوصيل لدى الخطيب أو الأديب أو الشاعر عن تجربته الحياتية من خلال مجموعة من الخلايا اللفظية و العقلية و الوجدانية ، بأسلوب يعكس شخصية الأديب بحيث تكون هذه الأخيرة مرأة عاكسة لفكره ووجدانه
- أما اذا عرجنا الى الحديث عن لغة كل من أبي العباس السفاح و هارون الرشيد و المأمون ، فنقول في بادئ الأمر : أن لغتهم هي اللغة العربية الفصحى ، التي نزل بها القرآن الكريم على سيدنا و حبيبنا محمد صلى الله عليه و سلم حين أنه من المتفق عليه أن الانسان العربي نظرا الى طبيعته و طبيعة بيئته الصحراوية كان يتميز بالسقلية و الفطرة السليمة ، و كان يتحدث اللغة العربية في حياته اليومية .
- فبعد هذا العرض الموجز لمسألة اللغة ، يجمل بنا الأن الشروع في دراسة خصائص لغة الخطابة في العصر العباسي الأول لدى كل من أبي العباس السفاح ، هارون الرشيد ، المأمون . محاولين تتبعها من خلال بعض النماذج المختارة من خطبهم و نبدأ في ذلك بـ :

2-1-1: السهولة و المباشرة:

- كانت لغة كل من السفاح و هارون الرشيد و المأمون ، لغة سهلة مباشرة خالية من التعقيد ، فهمهم لم يكن ابراز براعتهم اللغوية ، بقدر ماكان كل همهم توصيل أراءهم و الوقوف على المقاصد مباشرة ، لذا فقد كان تعاملهم مع اللغة تعاملا مباشرا ، وهذا ما لمحناه في خطبهم .

[1] – أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تحقيق علي البخار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، ص 33.

مثال ذلك في خطبة أبي العباس السفاح الذي قال فيها : (يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ... أنتم الذين لم يتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم من ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زمننا و أتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا و أكرمهم علينا ، و قد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا ، فأنا السفاح المبيح ، و الثائر المبير.)) [1]

- فالخطيب هنا استطاع في كلامه هذا أن ينقل لنا صورة واضحة عن حال أهل الكوفة ، و معانتهم ، فقدم في هذه الخطبة أعمال رفيعة للأمة رغم العوائق التي اعترضت سبيلهم و تصدت لهم ، و هذا ما لاحظنا في بناء الخطبة ، اذ لم يبذل جهدا و عناءا في اختيار ألفاظها و تراكيبها ، فهو من ذلك لم يقصد اظهار براعته اللغوية بقدر ما كان همه الوقوف على الغاية المنشودة و هي ابراز الحقيقة للمتلقي و تبيانها .
- أما في خطبة هارون الرشيد التي جاءت معنونه بـ : ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فان الله في التقوى تكفير السيئات و تضعيف الحسنات ، و فوزا بالجنة و نجاة من النار ، و أحذركم يوما تشخص فيه الأبصار و تبلى فيه الأسرار ، يوم البعث و يوم التغابن و يوم التلاقي و يوم التنادي يوم لا يستعتب من سيئة و لا يزداد في حسنة)) [2]

- ففي هذه الخطبة نجد أن اللغة لها أثرها البالغ و القوي على المتلقي و اذا تأملنا في هذه الخطبة وجدنا تراكيبها و مفرداتها أدت المعنى المطلوب. اذ أن الخطيب يريد بهذه اللغة المتسمة بالسهولة و المباشرة البعيدة عن الغموض و اللاوضوح الى اثارة مشاعر المتلقين و تقوية عزيمتهم.
- أما في خطبة المأمون التي قال فيها : " أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل

[1]– عبد العزيز الدوزي ، دراسة في التاريخ السياسي و الإداري و المالي ، ص 65.

[2]– أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، ص 177.

له وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله و بادروا آجالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم وترحلو فقد جد بكم ، واستعدوا للموت فقد أضلكم".[1]

- فنجد في هذه الخطبة أن اللغة العربية الفصحى ازدادت رونقا وجمالا وبلاغة، وأن الخطيب أنه خاطب الناس باللغة التي يفقهونها.
- وبهذا يمكن القول ومن خلال النماذج المختارة، أن لغة هؤلاء الخطباء الثلاثة، اتسمت بالوضوح والسهولة وذلك حتى توصل أفكارهم إلى المتلقين في قالب لغوي واضح سهل.

2-1-2 :المصطلحات الدينية:

ما نلاحظه أيضا على لغة خطاب الخلفاء العصر العباسي، نجد أنها تمثلت الدين الاسلامي وفكره، وهذا ليس أمر يدعو للشك في مثل هذا فالخطيب تشبع بروح الاسلام منذ الصغر.

فحين نتأمل كتابات أبي العباس السفاح، وبخاصة الخطابة منها نلاحظ أنه استسقى واستلهم عناصرها من العقيدة الاسلامية التي امتزجت بها امتزاجا كبيرا فأشرقت ألفاظها واستنارت معانيها بروح القرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي في ذلك لكثرة دراسته له والعمل بآياته كونه رجل اصلاح مثال ذلك نجد في خطبته التي ألقاها عند ما ترأس أهل الكوفة مستعينا فيها آيات قرآنية ومصطلحات دينية قائلا: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا." و كذلك في قوله بعد بسم الله الرحمان الرحيم : " قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى." وفي قوله أيضا : " وخصنا برحم رسول الله قرابته .. وأنبتنا من شجرته ... و وضعنا من الإسلام وأهله في الموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم.."

[1]– أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 253.

فهناك لو تمعنا ، نجد أغلب الأفكار المطروحة التي عبر عنها الخطيب لوجدناها تلتقي بمقاصد القرآن الكريم، وهذا ما نجده أحيانا أن أبي العباس ينغمس أكثر في تمثيله للقرآن الكريم.

فنقول أن أبي العباس السفاح استولت على نفسه الروح الإسلامية.

وكذلك إذا تأملنا في خطب أبي العباس ورغم كونها سياسية، إلا أنها حملت في ثناياها معاني وعبارات دالة على الروح الإسلامية للخطيب ، فوجدناه يخاطب شعبه الاهم أهل الكوفة، فجاءت معانيه تعبيرية ، فكان مثالا للمسلم المتمسك بتعاليم دينه ناهلا من عقيدته مثالا للمسلم الرافع لراية الإسلام مدافعا عن الحق.

أما إذا تطرقنا إلى خطبة هارون الرشيد ، فنجد أنه تكلم فيها عن التقوى والصلاح، وكيف ينال الفوز بالجنة والنجاة من النار، والتي جاء جلها بمصطلحات دينية في قوله : " أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزا بالجنة ونجاة من النار..."وفي قوله أيضا : " حصنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، وإياكم والأماني ، فقد غرت وأردت و أوبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم." وكذلك جاءت خطبته مستعينا فيها بآية قرآنية قائلا فيها بعد بسم الله الرحمان الرحيم " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى".

ما نلاحظه في قول الخطيب شيوع أفكار إسلامية ، وهذا إن دل على شيء دل دلالة واضحة على تمسكه بتعاليم دينه ، فجاءت بذلك لغة خطابه بعبارات روحية إسلامية ، فنجد هارون الرشيد يحث الأمة على الصلاح وتقوى الله ، فخطبته جاءت واعظة ومرشدة داعية للحق ولكتاب الله وسنة نبيه الكريم، مما جعله يتأثر بلغته وأسلوبه ، الامر الذي جعله يتمثله لتحقيق مقاصده.

أما إذا تمعنا في خطبة المأمون التي قال فيها: " أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده والتنجز لوعده ،والخوف لوعيده، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه."

وكذلك قوله: " كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فإن الله لم يخلقكم عبثا."

فنلاحظ في نص الخطبة أن مفهوم التقوى، أن تقرن بالعمل الصالح والاستعداد لما اعتدل فيه اليقين ولم يختصر الشك فيه، وهو الموت، وأن يبادر بالأعمال الصالحة، لتحقيق تقوى الله عز وجل، فاتقوا الله عباد الله، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم.

فالخليفة المأمون هنا استولت على نفسه الروح الإسلامية، فملكت روحه فتركت فيه أثرا واضحا جليا، وقد اعتمد الخطيب هذه الأفكار المستوحاة من الدين الإسلامي في لغته عمدا لما للدين من اثر كبير في نفوس المتلقين، فجاءت معانيه تعبيرية موحية توقظ القارئ وترشده إلى فعل ما يرضي الله وترك المعاصي وتجنب كل ما يؤدي به إلى طريق غير مستقيم.

وبهذا يمكن القول ومن خلال هاته النماذج التي سقناها للاستدلال على لغة خطاب كل من هؤلاء الخلفاء الثلاثة، نجد أنها تمثلت الروح الإسلامية واستقت ألفاظها من معانيه وهذا دليل على الروح الإسلامية للخطباء ونهلهم الكبير من ينابيع القرآن الكريم.

2-2 : الأسلوب:

قبل البدء في تحديد مفهوم " الأسلوب" اصطلاحا وجب علينا تحديد المفهوم اللغوي لهذا المصطلح.

فالأسلوب في **اللغة** من مادة (س.ل.ب)، ولقد جاء في لسان العرب: " سلب: سلبه الشيء، يسلبه سلبا واستلبه إياه ، الاستيلاب الاختلاس، ويقال للسطر من النخيل : أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، وقال: والأسلوب الطريق والوجه المهذب، يقال : أنتم في أسلوب سوء ، والجمع أساليب والأسلوب : الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم : الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه."[1]

ويتضح لنا هذا التعريف اللغوي أن أصل كلمة أسلوب هي من القول وطريقة نظمه ، ونفس الأمر عند الزمخشري حيث يقول في كتابه " أساس البلاغة" في مادة (س.ل.ب) : " سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى والتسليب عام ، وسلكت أسلوب فلان : طريقته وكلامه على أساليب حسنة.

ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله واستلبه ، وهو مستلب العقل، وشجرة سليب: أخذوا ورقعها وثمرها."[2]

ومجمل القول من هذين التعريفين أن الأسلوب يتسم بطابع الفردية إذ لكل صانع قول مذهبه وأسلوبه يميزه عن الآخرين وأن الأسلوب هو فن القول وطريقته.

أما **اصطلاحا** : اختلفت تعريفات الأسلوب في الأدب العربي باختلاف العصور، ومن ضمن هذه التعريفات: " أنه منحى الكاتب العام أو الشاعر وطريقته في التأليف والتعبير والنظم والتفكير والإحساس على السواء."[3]

وعرفه الدكتور عبد المطلب مصطفى بقوله:

---

[1]– ابن منظور ، لسان العرب ج7، مادة (س. ل . ب) ، ص 224–225.

[2]– أبو القاسم محمد بن عمرو الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 212.

[3]– حميد آدم ثويبي ، منهج النقد عند العرب ، دار الصفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأدن ، ط1 ، 2004م ، ص 120.

" هو الطريقة الفنية التي يتبعها الأديب في التعبير عما يجول في أعماقه من أحاسيس ، بحيث تنظم عباراته تنظيما خاصا كي يتمكن بذلك من نقل ما في داخله إلى قرائه فيفهم ويؤثر ".[1]

ولتحديد مفهوم الأسلوب في محتواه الأوسع أنه " طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية ، تميزه عن سواها، لاسيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات و التشابه والإيقاع، فهو يرتكز على أساسين : أحدهما كثافة الأفكار الموضحة وضبطها وعمقها أو طرافتها، والثاني المفردات وانتقاء التركيب الموافق لتأدية هذه الخواطر بحيث تأتي الصياغة محصلا لتراكم ثقافة الأدب ومعاناته."[2]

وصفوة القول أنه لكل شاعر أو أديب أو خطيب أسلوب معين يميزه عن غيره ، ويعرف به وهذا يتضح من خلال طريقة تعبيره ونظمه للكلام من خلال اختياره للألفاظ والتراكيب التي تعكس فكره وشعوره متضمنة المعنى المراد به بحيث يخرج – الكلام– في أجمل حلة.

ومن هنا وجب علينا أن نقف عند بعض النصوص الخطابية لكل من أبي العباس السفاح وهارون الرشيد ، المأمون ، لنستبين أنواع أساليبها، نظرا بأن هذه الأساليب الخطابية تنفرد بمميزات دون غيرها من أساليب الفنون الأخرى، لأنها تستقي وتستمد روحها من طبيعة هذا الفن الذي يشمل الاقناع والاستمالة.

[1]– محمد عبد المطلب مصطفى ، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1984، ص 124.

[2]–شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط ، 2009م ، ص 50 .

فأسلوب كل من أبي العباس وهارون ، والمأمون نجدها متنوعة ومختلفة باختلاف الموضوعات فهي تثير العاطفة وتنمي العقول وتحرك الكيان ليصل إلى رفع الهمم وشحن العزيمة ، فنقف بذلك عند بعض هذه الأساليب لنوضح مقصدها في النصوص الخطابية.

2-2-1: الوضوح:

يتميز أسلوب كل من أبي العباس وهارون والمأمون بسهولة عباراتهم و وضوح معانيهم وهذا كان عن عمد وقصد، لأن فهم المعنى و وضوحه هو أساس إقناع المتلقي واستمالته والعكس صحيح.

فإذا لم يتمكن المتلقي من فهم معاني الخطابة لا يمكن له أن يتجاوب و يتأثر بالموضوع.

لكن لا نعني هنا بالوضوح والسهولة أن كلام الخطيب يرد سوقيا غير مناسب لبناء اللغة العربية و أهدافها ، بل المقصود : " أن يكون سهلا في قوة، وساميا في وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين ولكنهم يعجزون عن الاتيان بمثله".[1]

أي أنه لا بد أن يكون مخاطبا للسامعين على قدر عقولهم وقدرة استيعابهم، وأن لا يبالغ بالتعالي في التعبير، لذا لابد على الخطيب أن يستبعد كل ما يمكن أن يمنع المتلقي من إيصال الفكرة لديه، حتى يحقق الخطيب بذلك مقصده الهادف إليه.

فيقول أبي العباس في خطبته والتي تعرض فيها للحديث عن أهل الكوفة التي قال فيها : " ....فتمم الله ذلك منه ومنحه لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى ، فحووا مواريث الأمم ، فعدلوا فيها و وضعوها مواضعها وأعطوها أهلها... ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها ،فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه، فلما آسفوه أنتقم

[1]-أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية ، لأصول الأساليب الادبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط7 ، 1976 ، ص 94 .

منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا و ولى نصرنا...ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض."[1]

ومن ذلك يمكن القول أن أسلوب أبي العباس في هاته الخطبة ورد واضحا بعيدا عن الغموض ، فالكلمات السهلة الواضحة التي اعتمدها في بناء أسلوبه تكون أنسب وأبلغ في إيصال الفكرة للمتلقين والتأثير على شعورهم وعواطفهم.

أما إذا تطرقنا إلى خطبة كل من هارون والمأمون فأسلوبهم غير بعيد في خطبتهم فهي تقريبا نفس العبارات والألفاظ مثال ذلك خطبة هارون التي قال فيها : " ....فتناوشوا التوبة من مكان بعيدا، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، فرغب ربكم عن الأمثل والوعد ، وقدم إليكم الوعيد، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلا فجيلا، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب : " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى".[2]

أما خطبة المأمون فجاءت كالتالي: " فيما لها حسرة على ذي غفلة : أن يكون عمره عليه حجة، أو تؤدية أيامه إلى شقوة ا نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعته غفلة، ولا تحل به بعد الموت فزعة ، إنه سميع الدعاء وبيد الخير ، إنه فعال لما يريد."[3]" تحير الخطيب كل ما هو واضح من الكلمات والتراكيب وبناء الأسلوب لإيصال أفكاره إلى المتلقي واضحة، لا تحتاج إلى كبير عناء لفهمها أو تفسح

[1]– عبد العزيز الدوزي ، دراسة في التاريخ السياسي و الغداري و المالي ، ص 65 .

[2]–أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، ص 177 .

[3]– أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 253 .

مجالات للشك والتأويل وليس بدعا أن يلجأ الخطيب إلى مثل هذا النوع من الإفصاح والوضوح في أسلوبه لأن من مقاصده إفهام الناس وإقناعهم."[1]

ومن ذلك نخلص إلى كل من أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون كانوا يعتمدون الوضوح والمباشرة في أسلوبهم الخطابي، لذلك حتى يسهل على المتلقين الاستيعاب وترسيخ الفكرة في العقول، فوضوح الأسلوب يكون أجدى وأنفع في عملية الاتصال والتواصل التي كانت الهدف الذي يرمي إليه الخطباء.

وورد أسلوب كل من أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون ممزوجا بين الخبر والإنشاء وقد وظف كل منهما هذين الأسلوبين لقيمة كل منهما في إبراز المعنى وتوضيحه.

2-2-2 : الأسلوب الإنشائي:

كما يعرفه البلاغيون هو " كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[2] بمعنى أنه كلام ينشئه صاحبه بدون أن يكون له حقيقة خارجية يطابقها ويخالفها.

وهو ينقسم إلى قسمين : إنشائي طلبي ويضم : الامر- النهي- النداء-الاستفهام- النفي وإنشائي غير طلبي ويضم : المدح – الذم-التعجب...

فمن خلال دراستنا لخطب خلفاء العصر العباسي الأول، نلاحظ أنها تميزت بكلتا النوعين ويتضح ذلك من خلال قولهم:

الأمر:

مثال في خطبة أبي العباس نجد : (أعطوها أهلها- استأثروا- استضعفوا-أكرمهم...)

---

[1]-عيسى بن ساعد مدور ، الخطابة في النثر الجزائري الحديث خصائصها و موضوعاتها ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، 2004، 2005 ، ص 222.

[2]- عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية (مقدمات و تطبيقات) ، دار الكتاب الجديد ، ط2، 2002م، ص 33.

هارون الرشيد مثال ذلك : (أوصيكم- أحذركم- اتقوا- حصنوا...)

أما المأمون فجاءت كلمات الأمر كالآتي: (أوصيكم- فاتقوا – بادروا- استعدوا...)

فكلمة (أوصيكم- اتقو – أعطوها أهلها) فهم صيغة أمر وقد خرج معناه الأصلي إلى الارشاد والتوجيه والنصح ، فهم يأمروا الشعب إلى انتهاج نهج الخير والاعراض عن الشر وكذلك يأمروهم بتقوى الله وطاعة الله.

النداء:

أبي العباس السفاح ، اعتمد على صيغة النداء في قوله: " يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا..."

وكذلك هارون الرشيد والمأمون اعتمدوا على صيغة النداء في كلمة " عباد الله" فهنا أسلوب استثنائي طلبي، حذفت الأداة الأصل التي هي " يا عباد الله" فهنا هم يدعون للإصغاء لهم.

قد استعمل الخطباء أسلوب النداء في خطابهم بغرض إثارة السامع ، وتنبيههم إلى ما يريدون قوله.

التعجب :

هو أسلوب انشائي غير طلبي:

فنجد أبي العباس اعتمد على صيغة التعجب في قوله" أنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم." فالتعجب جاء بصيغة سماعية، فهو متعجب للحالة التي انتابتهم وهذا ما يعكس الانفعال النفسي الذي يعيشه أبي العباس.

وكذلك نجد صيغة التعجب لمأمون حيث قال:" أو تؤديه أيامه إلى شقوة!".

وصفوة القول: يتبين لنا من خلال خطبة كل من أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون، أنهم استخدموا الأساليب البلاغية لغرض فني جمالي ليخرج عن ما هو مألوف ، فنلاحظ من خلالهما أنهم اعتمدوا على أسلوبين ، الأسلوب الانشائي والأسلوب الخبري، كما هو معروف في البلاغة العربية.

2-2-3-: الأسلوب الخبري:

تعريف الخبر في كتاب علم المعاني لعبد العزيز عتيق أن الخبر هو "ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذبا فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا".[1]

فمن خلال دراستنا لخطب كل من خلفاء العصر العباسي الأول سواء كانت سياسية أو دينية وجدنا أنهم مزجوبينالخبري والانشائي ، وهذا أمر يدخل في طبيعة هذا الفن فمن الأساليب الخبرية:

التوكيد:

وظف هارون الرشيد في خطبته التوكيد اللفظي مثل قوله: ' إن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات، وفوزا بالجنة ونجاة من النار، وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار وتبلى فيه الأسرار".

وكذلك في خطبة المأمون جاء التوكيد لفظي بأداة "إن" في قوله: " وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحد لجديرة بقصر المدة". وكذلك في قول آخر:" وإن غائبا يحدوه الجديدان اليل والنهار لحري بسرعة الأوبة " و " إن قاد ما يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق لأفضل العدة".

[1]-عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، (علم المعاني) ، د ط ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ص 43 .

الملاحظ على هذه الجمل أنها جاءت مؤكدة بأداة التوكيد "إن" وذلك تأكيد فيه إشارة إلى أن المؤكد أمر مهم يستدعي من المتلقي تأملا وإحالة فكر ، والتوكيد هنا غرضه التنبيه والتحذير.

الإيجاز:

نجد كل من أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون اعتمدوا على الإيجاز في معظم نصوصهم مثال ذلك:

ابي العباس : " بنا هدى الناس بعد ضلالتهم ونصرهم بعد جهالتهم"

" فأنا السفاح المبيح ، والثائر المبير"

نلاحظ أن أبي العباس وظف الإيجاز الذي يحقق من خلاله الهدف بأقل العبارات وأسهلها حتى يستميل متلقيه بذلك ويتمكن من إقناعهم.

وهذا يدل على بلاغة الخطيب وقدرته على اعطاء الألفاظ المناسبة للمعاني.

ويظهر كذلك الإيجاز في خطبة كل من هارون الرشيد والمأمون في: قول هارون: "حصنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة وإياكم والأماني ، فقد غرت و أوبقت كثيرا."

أما المأمون قائلا: " نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزعه، إنه سميع الدعاء، وبيده الخير، وإنه فعال لما يريد."

فجاء الإيجاز هنا في هاته الخطب عبارة عن دلالات وعبارات موجزة حتى تستميل السامعين فتستنير بها أذهانهم.

قصر الفقرات وتوازنها:

كقول أبي العباس: " الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ، تكرمة وشرفه".

وفي قوله أيضا : " بنا هدى الناس بعد ضلالتهم ، ونصرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم".

أما هارون الرشيد فجاء قصر الفقرات وتوازنها كالتالي:

" الحمد لله الذي نحمده عل نعمته ، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه". وفي قوله أيضا: " أحذركم يوما تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار".

خطبة المأمون جاءت كالاتي: " الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه".

وفي قوله أيضا: " بادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جد بكم ، واستعدوا للموت فقد أظلكم".

جاءت جمل هذه الخطب متوازنة تساوي عدد كلماتها وتتماثل أوزان نهاياتها وهذا ما تقتضيه الخطبة للتأثير في السامعين واستمالتهم.

وكختام يمكن القول أن كل هؤلاء الخطباء الثلاثة استخدموا الأساليب البلاغية في خطبهم بغرض فني جمالي خاصة وأن خطبهم جاءت بأسلوب جميل ولغة سهلة.

2-3 : الصور البيانية:

البيان هو أحد علوم البلاغة الثلاثة وهو أكثرها وفرا و حظا في القرآن الكريم والأدب العربي في نثره وشعره، وهو الذي يمد الأديب بثروة كبيرة من أساليب القول ويرشده إلى مواطن القوة والضعف في النص الأدبي فيعبر بذلك عما في نفسه وكذا يخدم الفكرة التي يحملها.

وجاء توظيف الصور البيانية في خطب الخلفاء العصر العباسي الأول لتقريب الفكرة والتأثير في السامع وانعاش قدراته الذهنية من جهة وكذا تذوق جماليتها و روعتها من جهة أخرى ، وقد تنوعت الصور البيانية بين:

الاستعارة :

" تأتي كلمةmetaphor استعارة من الكلمة اليونانيmetaphora المشتقة من « meta » التي تعني « ove » إلى جانب الأخر، والفعل « pherein » أن يحمل to carry إنها تشير إلى سلسلة من العمليات اللغوية التي عبرها تنتقل أو تتحول أوجه شيء ما إلى شيء آخر ، وعليه فإن الشيء الثاني يتحدث عنه كما لو كان هو الشيء الأول، ثمة أنواع عديدة من الاستعارة، وقد يتفاوت عدد الأشياء التي يتضمنها موضوع الاستعارة إلا أن الاجراء العام للتحول transference يبقى كما هو."[1]

لا يختلف المدلول الاصطلاحي للاستعارة في تراثنا البلاغي عن المدلول اللغوي لمادتها ، فالإعارة **لغة** تعني : " نقل الشيء من مالكه أو حائزه إلى شخص آخر كي ينتفع به، وهذا النقل لا يكون – بداهة– إلا إذا كان بين المعير والمستعير صلة أو " علاقة" ما".[2]

أما **اصطلاحا** : عرفها السكاكي فقال :" الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريه الطرف الأخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثبات المشبه ما يخص المشبه به."[3]

[1]– تيرنسهوكتس ، الإستعارة ، ترجمة عمروز كريا عبد الله ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2016 ، ص 11.

[2]– حسن طبل ، الصورة البيانية في الموروث البلاغي ،ط1، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، مصر ، 2005 ، ص 122.

[3]–أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق أكرم عثمان، دار الرسالة ، بغداد ، د ط ، 1981 ، ص 599..

وفي تعريف آخر:" الاستعارة كما نعلم من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه ، وأبقي على الطرف الأخر، فهي مكنية إذا حذف المشبه به ، وهي تصريحية إذا حذف المشبه"[1]

بمعنى أن الاستعارة هي نوع من أنواع البيان، عبارة عن تشبيه حذف إحدى طرفيه ، وترك الأخر، وفيه ينتقل المعنى المجرد إلى تعبير آخر مجسد ، وهي نوعان تصريحية وهي ما حذف فيها المشبه والمكنية ما حذف فيها المشبه به.

وكذلك عرف أبو هلال العسكري فيرى أنها: " نقل العبارة عن موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالتعليل من اللفظ أو التحسين المعرض الذي يبرز فيه."[2]

والاستعارة " يراد بها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للابانة، وجمال الاستعارة في إثارة الخيال، وتجسيد المعاني ، وإبراز الصور ، فضلا عن كونها تعطي الكثير من المعاني بأقل الألفاظ."[3] ونستطيع أن نقف على صور الاستعارة في جملة من النصوص.

ولقد قدم كل من خطباء العصر العباسي الأول(أبي العباس السفاح، هارون الرشيد والمأمون) بالتصوير الاستعاري البليغ عناية فائقة ، برزت في فنون نثرهم المختلفة منها الخطابة، وقد برعوا البراعة في هذا النوع من البيان، فلا يكاد نص من نصوصهم يخلو

[1]–لبنى لندة ، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري الحديث ، جامعة باتنة 1 ، كلية اللغة و الادب العربي و الفنون ، قسم اللغة العربية و آدابها ، 2015 – 2016 ، ص 305

[2]–أبو هلال العسكري ، الصناعتين (الكتابة و الشعر) ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الباجي الحلبي و شركائه ، القاهرة ، د ت ، ص 167 – 168 .

[3]– حسين عبد العالي اللهيبي ، الخطابة العربية في العصر العباسي الاول ، ص 108–109 .

من هذا التصوير والذي يسعوا من خلاله إلى توضيح وتبين الرؤية وتوصيل الفكرة للمتلقي وتعميق المعنى ، فجاءت الاستعارة في خطبهم قليلة إلا أنها أعطت معنا واضحا وقوة بيانية لتعميق الفكرة في ذهن القارئ والسامع. فمثال ذلك نجد في خطبة أبي العباس أنه استعمل الاستعارة التصريحية في قوله : ((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)) فالاستعارة هنا جاءت " ليذهب عنكم الرجس " و هنا قصد الكفر و الضلالة و الجهل فحذف المشبه و ترك لازم يدل عليه هو عنكم .

- أما في خطبة هارون الرشيد ، فجاءت في خطبته الاستعارة المكنية في قوله : (و عهدت الآباء و الأبناء و الأحبة و العشائر باختطاف الموت اياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم و لا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، و انقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم الى أعمالهم عند الموقف و الحساب)) .
- فالاستعارة المكنية هنا جاءت " اختطاف الموت اياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم " فالموت لا تخطف بل الانسان هو الذي يخطف ، و الأداة هنا الخطف حيث حذف المشبه به و ترك لازم يدل عليه الخطف (الانسان) .
- أما ي خطبة المأمون فجاءت الاستعارة بين المكنية و التصريحية مثال ذلك في قوله : ((أرسله بالهدى و دين الحق ليظهر على الدين كله)) فهنا جاءت الاستعارة تصريحية " أرسله بالهدى " فحذف المشبه و ترك لازم يدل عليه وهو الرسول الذي حذف فهو الذي أرسله الله بالهدى و دين الحق .

وكذلك في قوله : ((فان أجله مستور عنه ، و أمله خادع له . و الشيطان موكل به ، يزين له المعصية ليركبها ، و يمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه منيته)) . ففي هذا النص جاءت الاستعارة المكنية في " أمله خادع له " فالأمل لا يخدع انما الانسان هو الذي يخدع ، فحذف المشبه به هو الانسان .

وكذلك جاء في قوله : " حتى تهجم عليه منيته " فالمنية هنا لا تهجم أي أن الميت لا يهجم بل الحي هو الذي يهجم . فكذلك حذف المشبه به و ترك لازم يدل عليه و الحذف هنا كذلك الانسان .

2-3-2- الكناية :

- تعتبر الكناية من العناصر البلاغية الي يستعملها الشعراء و الأدباء و الخطباء للتعبير عن المشاعر و الأفكار و تقديمها في شكل فني لائق يعجب السامعين ، فهي في اللغة أن تتكلم بالشيء و تريد غير ، يقال : ((كنت بكذا عن كذا اذا تركت التصريح به ، فبابه : كنى يكنى كرمى يرمى)) .[1]

((هي من كنيت الشيء أكنيه ، اذا ستر بغيره ، وقيل كنانة: بنونين لأنهما من " الكن " وهو الستر ، و تعريف الكناية مأخوذ من اشتقاقها ، و اشتقاقها من الستر و يقال كنيت الشيء اذا سترته ، و انما أجرى هذا الاسم على هذا النوع من الكلام لأنه يستر معنى و يظهر غيره و لذلك سميت كناية)) .[2]

أما اصطلاحا فعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجئ الى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيومئ به أليه و يجعله دليلا عليه)) [3]

وكذلك عرفها أبو هلال العسكري بقوله : ((وهي أن يكنى عن الشيء و يعرض به ، ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن و الثورية عن الشيء)) [4]

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيوم ، علم البيان ، دراسته تحليلية لمسائل البيان ، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية ، ط2، 2004، القاهرة ، ص 199 .

[2]- عائشة حسين فريد ، الكناية و التعريض لثعالبي ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، د ط ، القاهرة ، مصر ، 1998م ، ص 21 .

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجازات ، محمد رشيد رضا ، ط5 ، مكتبة ، القاهرة ، 1961 ، ص 116.

[4]- أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ت مفيد قميحة ، ط1 ، دار إحياء الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص 368.

فالكناية هنا هي لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي و انما معنا ملازما للمعنى الحقيقي.

لقد عرف خطباء العصر العباسي الأول بفصاحتهم و بلاغتهم المتجلية في كلامهم المستتر المكنى ، فقد شاع عنهم الكثير من الكنايات كالشجاعة و الكرم و النصيحة .... وقد تجلت الكناية في خطبة كل من أبي العباس و هارون الرشيد و المأمون في قولهم : أبي العباس فجاءت في خطبته كناية في " و أنبتنا من شجرته " فهي كناية عن الأصل .

و كذلك " أخرجناكم من ضلالتكم " كناية عن صفة الكفر و الجهل و الضلالة .

و ايضا في قوله : " أهل البيت " يقصد بها أمية التي نعتهم القرآن أهل الكفر .

- أما في خطبة هارون الرشيد فجاءت الكناية كالتالي : " يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور " فهنا كناية عن موصوف الله (علام الغيوب) .

و كذلك في قول : " يوم التلاقي " كناية عن موصوف و هو يوم البعث (القيامة).

أما المأمون فجاءت الكناية في خطبته كالتالي : " غلب شهوته " كناية عن العفة و التقوى .

- وصفوة القول فيما يخص الصور البيانية هنا ، نلاحظ طغيان الكناية ، فالخطيب عمد الى التلميح بقصد تقوية المعنى ، و استعمال الاستعارة ذلك لتجسيد المعنوي في شكل أو صورة المحسوس ، وعمد الأسلوب المباشر للمخاطب لهز النفوس و اثارة العقول و استمالتها .

2-4- المحسانات البديعية :

هو من خصائص أسلوب البلاغة ، فهو يتميز بجرس موسيقي رنان ، كي يكون خفيفا على اللسان ، حسن الوقع في الأذن ، و ذلك بانسجام حروفه و نعومة جرسها الموسيقي ، و توافق الكلمات و تناسب الفقرات و ايقاعها .

وهي من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره و عواطفه ، و للتأثير في النفس ، و هذه المحسنات تكون رائعة اذا كانت قليلة و مؤدية المعنى الذي يقصده الأديب ، أما اذا جاءت كثيرة و متكلفة فقدت جمالها و تأثيرها و أصبحت دليل ضعف الأسلوب ، و عجز الأديب .

فن من فنون القول ، فهو العلم الذي ((يوشي به الكلام الحسن ، وقد يكون ذلك الحسن من جهة اللفظ و قد يكون من جهة المعنى)) .[1]

- فهو ينقسم الى قسمين ، قسم يرجع الى المعنى و هذا ما يسمى بالمحسنات المعنوية ، وقسم يرجع الى اللفظ وهذا ما يسمى بالمحسنات اللفظية فجمال المعنى يخص المحسنات المعنوية و جمال اللفظ يكمن في المحسنات اللفظية.
- فالمحسنات المعنوية تتمثل الطباق أو ما يسمى بالتضاد ، و و المحسنات اللفظية تتمثل بالسجع وهو توافق في الفاصلة و هذان الاثنان سنتطرق لتطبيقهما في خطب العصر العباسي الأول لكل من الخليفة أبي العباس و الخليفة هارون الرشيد و الخليفة المأمون .

[1] – حسن عباس فضل ، البلاغة فنونها و افنانها ، ط1 ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ، العبدلي عمارة جوهرة ، القدس ، 2004 ، ص 276.

2-4-1: الطباق :

الطباق أو ما يسمى بالتضاد وهو ((الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة)) [1]بمعنى أن الطباق يكون بين اسمين أو فعلين ، أو حرفين ، فلا يكون مثلا بين اسم و فعل ، أو بين حرف و اسم .

كما نجده في تعريف أخر هو ((لون من ألوان البديع المعنوية ، وهو الجمع في العبارة الواحدة بين الشيء و ضده أو الجمع بين معنيين متضادين)).[2]

- وينقسم الطباق الى قسمين أساسين وهما الطباق الايجاب و طباق السلب ، وقد شكل التضاد في خطب العصر العباسي الأول كل من الخليفة أبي العباس و هارون الرشيد و المأمون ظاهرة فالنص يتحول من السكون الى الحركة و ساعد على ضبط جو الخطبة و بلوغ البناء الفني المحكم ، وهذا ما تقتضيه الخطبة لتحرك ما في النفوس ومن ذلك قول الخليفة أبي العباس السفاح في خطبته الذي جاء التضاد كالتالي : ((فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا و أوجب عليهم حقنا و مودتنا ... و أظهر بنا الحق و دحض بنا الباطل ، و أصلح بنا منهم ما كان فاسدا ، ... فأملى الله لهم حينا حتى أسفوه ، فلما أسفوه انتقم منهم ....))

فجاء التضاد في الكلمات التالية :

(أوجب/حقنا ، الحق / الباطل ، الصلاح / الفساد) طباق الايجاب .

- أما في خطبة الخليفة هارون الرشيد جاء الطباق في هذا النص كالآتي ،(فان في التقوى تكفير السيئات و تضعيف الحسنات ، و فوزا بالجنة و نجاة من النار ، ... (يوم الأزقة اذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظلمين من حميم ولا شفيع يطاع ،

[1]- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة و المعاني و البيان و البديع ، حققه محمد عبد القادر الفاضلي ، د ط ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 348 .

[2]- شكري أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم البديع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1999 ، ص 43 .

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ، .... وقد رأيتم الخوالي جيلا فجيلا ... (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى)) فجاء التضاد هنا في الكلمات التالية : (الجنة / النار ، السيئات / الحسنات ، يعلم / تخفي ، أساءوا / الحسنى) .

هذه جاءت بالطباق الايجاب .

أما في خطبة المأمون جاء الطباق كالآتي : (" ... و ما بين أحدكم و بين الجنة و النار الا الموت ان ينزل به وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة ، و ان قادما يحل بالفوز أو بالشقوة لمستحق لأفضل العدة ... يزين له المعصية ليركبها ، و يمنيه التوبة ليسوفها ") فجاء التضاد في هذا النص كالتالي :

(الجنة / النار ، الليل /النهار ، المعصية / التوبة) فالطباق هنا ايجابي .

- فكل هذه الطبقات تتم عن ذوق رفيع و حس مرهف وجودة عالية في التعبير ، فكل هاته الطبقات تصور لنا حالة الخطيب و دوره في الخطاب و كل ذلك راجع لتهذيب الناس و توعيتهم و ارشادهم لما فيه الخير و الصلاح للنفس . و كختام يمكن القول أن الخلفاء العصر العباسي الأول ، تناولوا هذا اللون من ألون البديع ، بغرض الافادة من بلاغة هذا المحسن الذي يليق بالموقف المستهدف و المبتغى ، اضافة الى الجو الموسيقي الذي يخلقه هذا الطباق في هاته النصوص ، و الذي بدوره يساعد على استيعاب الفكرة و تنويرها و خاصة اذا كانت محمولة بشحنات عاطفية .
- 2-4-2- السجع :

يعرف السجع أنه توافق في الفاصلة اذ يحدث جرسا موسيقيا و بالتالي تؤثر على المتلقي و تلفت انتباهه ، فهو اذا ((تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي الأسجاع في النثر كالقوا فيفي الشعر))

- وفي تعريف أخر : ((هو توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير وهو في النثر كالقافية في الشعر و قد عرف السجع عند العرب بمصطلحه ، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه و سلم النهي عن سجع الكهان ابعادا عن التشبيه بهم و هو غير السجع الذي كان يعمر كلام العرب الذي فيه سلامة الطبع وقوة السليقة ووضوح الفطرة و الذي كان شائعا في الخطب و الوصايا و الحكم)) .[1]

من خلال هذين التعريفين نلخص الى القول أن السجع هوا توافق الحروف الأخيرة من مواضع الوقف في النثر مما يكسب الكلام جمالا و يمنحه الفصاحة و البيان و حلاوة الايقاع و عذوبة الموسيقى و جمال هذا المحسن اللفظي يكمن في ابتعاده عن التكلف و التصنع ، و هذا ما نجده في خطبة كل من هؤلاء الخلفاء الثلاثة ما نجده في من جمال موسيقي و طابع جمالي وفني ، يقول أبي العباس في خطبته قائلا : ((الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه تكرمة و شرفه و عظمه و اختاره لنا و أيده بنا ، و جعلنا أهله و كهفه و حصنه و القوام به و الذابين عه و الناصرين له ... و خصنا برحم رسول الله و قرابته ... و أنبتنا من شجرته ... ووضعنا من الاسلام و أهله)).[2]

وكذلك في قوله : ((فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا و أوجب عليهم حقنا و مودتنا)) و كذلك في قوله : ((بنا هدى الناس بعد ضلالتهم و نصرهم بهد جهالتهم و أنقذهم بعد هلكتهم)) [3]

- نلاحظ هنا أن الخطيب اعتماده للسجع جاء عفوا لا بروز فيه للتكلف و التصنع ، و هذا ما زاد لكلامه حسنا و بهاء ، و يظهر ذلك جليا من خلال توافق الكلمات ، و تلائم العبارات مثل ذلك بين الهاء و النون و الميم . مثل (اختاره – كهفه – أهله –

[1] – القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 402.

[2] – عاطف فضل ، مبادئ البلاغة العربية ، دار الرازي للطباعة و النشر ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2006 ، ص 298.

[3] –عبد العزيز الدوزي ، دراسة في التاريخ السياسي و الإداري و المالي ، ص 65 .

فضلنا– حقنا –مودتنا – ضلالتهم –نصرهم–جهالتهم ...) فهذا ان دل على شيء دل على اعتناء الخطيب بجمال أسلوبه قصد انتباه المتلقي .

- و يظهر أيضا الأثر الموسيقي في خطبة هارون الرشيد قائلا فيها : (الحمد لله الذي نحمده على نعمه ، و نستعينه على طاعته ، و نستنصره على أعدائه)) و في قوله : ((و فوزا بالجنة و نجاة من النار و أحذركم يوما تشخص فيه الأبصار ، و تبلى فيه الأسرار)).[1]
- و يظهر أيضا الأثر الموسيقي في خطبة المأمون قائلا : ((الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، و مستوجبه على خلقه ، أحمده و أستعينه و أومن به و أتوكل عليه ، و أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ، .... أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، و العمل لما عنده و التنجز لوعده ، و الخوف لوعيده ، فانه لا يسلم الا من اتقاه و رجاه و عمل له و أضاه)) [2]

فجاءت خطبة هارون الرشيد كلماتها و عبارتها بين الهاء و الراء : (نستنصره– أعدائه – الأبصار – الأسرار) .

و خطبة المأمون جاءت بين الهاء مثل قوله : (عبده – وحده – عنده – وعده – رجاه – أرضاه –)

- فقصد الخطباء هنا في بداية خطبتهم لفت انتباه السامعين ، فهنا غلبت عليهم النغمة الموسيقية فكان لها تأثير على النفس ، وهذا من دواعي الخطابة و غايتها ، لأن ذلك يؤنس القلوب و يغذي العقول و السير على سنة نبينا الكريم و اتباعه .

و بهذا نخلص القول أن الخطباء استعملوا هذا المحسن البديعي أنه لم يكن هباءا ، و انما أرادوا من خلاله ايصال أفكارهم للمتلقين في قالب فني جميل .

[1] –أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، ص 177 .

[2] – أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ص 253 .

الخاتمة

الخاتمة

في ختام حديثنا لهذه الدراسة، والتي تناولت الخطابة في العصر العباسي الأول، والتي تحدثت عن الخطابة وأنواعها في هذا العصر، و وسائل البيان فيها إلى جانب بعض الخطب السياسية والدينية في العصر العباسي، وجد الباحثين أن الخطباء في هذا العصر حشدوا طاقاتهم البيانية وقدراتهم البلاغية في توظيف البيان لإقناع مستمعيهم بمواقفهم السياسية والدينية، عبر وسائل : الاستشهاد بالقرآن الكريم نصوصا وألفاظا ومعان وإدراجها في الخطب.

ومن خلال دراستنا هذه توصلنا إلى النتائج التالية:

- الخطابة فن من فنون القول تعمل على التأثير في السامعين واستمالتهم وبالتالي تعد وسيلة من وسائل الاتصال بين الخطيب والجمهور.
- تعدد أنواع الخطب في العصر العباسي الأول (الحفلية- الدينية- الحربية- السياسية).
- كانت الخطابة في هذا العصر مشبعة بالروح الإسلامية، فلم تخل من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة.
- سعى العباسيون إلى التأكيد على أحقيتهم في الخلافة بسبب قرابتهم من النبي صلى الله عليه وسلم.
- سعى العباسيون إلى التأكيد على حقهم في ميراث النبي صلى الله عليه وسلم.
- لم يخل هذا العصر من رجال بلغوا القمة في الخطابة، وصاروا مضرب الأمثال في الفصاحة والبلاغة وقوة التأثير.
- كما نجد الخليفة أبي العباس السفاح في هذا العصر كانت مهمته شاقة مفعمة بحوادث القسوة التي لم يشهد التاريخ مثلها.

- أما الخليفة هارون الرشيد ، وصلت فيه الخلافة إلى أفخم درجاتها، صولة وسلطانا وثروة وعلما وأدبا، تتمثل بداية خلافته بالانحلال الإداري والتفكك السياسي، ومن فتن وثورات، وظهور حركات مناهضة من العلوية.
- أما الخليفة عبد الله المأمون، نجد ميله إلى العفو وكراهيته للانتقام ، كما يميل إلى الإقناع في الجدل والمناقشة.
- اللغة المستعملة في كل من خطبة أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون يغلب على ألفاظهم السهولة والمباشرة.
- كما اعتمدت هذه الخطب على مصطلحات دينية، فأشرقت معانيها واستنارت بالقرآن الكريم.
- اعتماد الخطباء على إثارة العاطفة وإيقاظ الوجدان وذلك باستخدام الصور البيانية والمحسنات البديعية.
- ومن هذا العرض للنتائج هذا البحث يمكن القول ان الخطابة في العصر العباسي الأول وجدت مكانة رفيعة عند الخلفاء والساسة.

قائمة المصادر و المراجع

أ- القرآن الكريم

ب- المصادر:

1- ابن خلدون ، المقدمة ، د ط ، د ت ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، مج 3 ، مادة الخطب ، ، بابا الخاء ، دار الحديث ، القاهرة ، د ط ، 2003 .

3- أبو الفتح عثمان ابن الجني ، الخصائص ، تحقيق علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2

4- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، د ط ، دار النفائس ، القدس ، 2009.

5- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، دار الكتاب الحربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، المجلد الثاني ، 1925

6- الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، مكتبة الجاحظ . د ت .

7- الجرجاني ، معجم التعريفات ، باب الخاء ، تحقق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، د ط ، د ت.

8- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج 1 ، د ط ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، د ت .

9- محمد بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، لبنان ، 1990

ج- المراجع :

1- ابن عبد ربه ، أبو عمر و أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ت ج : أحمد أمين و أحمد الزين ، ابراهيم الأنباري ، ط 2 ، ج 4 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، 1962 .

2- أبو هلال العسكري ، الصناعيتين (الكتابة و الشعر) ، تح : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الباجي الحلبي و شركائه ، د ، ت .

3- أبو هلال العسكري ، الصناعيتين ، نج ، مفيد قميحة ، ط1 ، دار احياء الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1981

4- أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تج: أكرم عثمان ، دار الرسالة ، بغداد ، د ط ، 1981.

5- أحمد الشايب ، الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط7 ، 1976 .

6- أحمد أمين هارون الرشيد ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2012

7- أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج 3 ، العصر العباسي الأول ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، مصر ، 1933.

8- أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر 2012

9- أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، دار النهضة للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002.

10- أرسطو طاليس ، الخطابة ، تحق عبد الرحمان بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

11- بسيوني عبد الفتاح فيوم ، علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية ، ط2 ، 2004.

12- تيرنس هوكس ، الإستعارة ، ترجمة عمرو زكريا عبد الله ، المركز ، القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2016.

13- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ط 1 ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان ، 1464 هـ 2003

14- حامد صادق قنيبي ، الأدب العباسي (النثر) ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن د ط ، 2008 .

15- حسان عباس فضل ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ط1 ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ، العبدلي عمارة جوهرة ، القدس ، 2004

16- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام (السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي) ط 14 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1996

17- حسن طبل ، الصورة البيانية في الموروث البلاغي ، ط1 ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، مصر ، 2005.

18- حسين عبد العالي اللهيبي ، الخطابة في العصر العباسي الأول ، مجلة القادسية في الأدب و العلوم التربوية ، المجلد 7. 2008 .

19- حميد آدم ثويبي ، منهج النقد عند العرب ، دار الصفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1، 2004.

20- حنى عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي ، ط 1 ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2001 .

21- الخطيب القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة و المعاني و البيان و البديع ، حققه محمد عبد القادر الفاضلي ، د ط ، دار المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، د ت .

22- سلامة موسى ، أشهر الخطب و مشاهير الخطباء ، د ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012

23- شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط ، 2009.

24- شكري أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم البديع ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1999

25- عاطف فضل ، مبادئ البلاغة العربية ، دار الرازي للطباعة و النشر ، عمان – الأردن ، ط1 ، 200

26- عائشة حسين فريد ، الكناية و التعريض الثعالبي ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، د ط ، القاهرة ، مصر ، 1998

27- عبد العززيز عتيق في البلاغة العربية (على المعاني) ، د ط ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، د ت .

28- عبد العزيز الدوزي ، العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي و الايداري و المالي ، ط 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنا ، 2006.

29- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ت ج : محمد رشيد رضا ، ط 5 ، مكتبة القاهرة ، 1961

30- عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العباسية ، دار ابن الحزم ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 2006

31- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية) ، ط1 ، دار العلم للملايين ، الكويت ، 1401 هـ -1981 م

32- عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية (مقدمات و تطبيقات) ، دار الكتاب الجديد ، ط2 ، 2002 .

33- عيسى عبد الرحمان ، أدب الخطابة الدينية في الدعوة الاسلامية ، ط1 ، دار الايمان ، بيروت ، 1995 .

34- فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية (عصر القوة و الازدهار) ، ط1 ، دار الشروق ، عمان الأردن ، 2009

35- كمال اليازجي ، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم ، ط1 ، دار الجيل ، لبنان ، 1986

36- محمد أبو زهرة ، الخطاب أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، الخليج -1353 هـ - 1934.

37- محمد الخصري بك ، محاضرات في تاريخ الأمم ، الدولة العباسية ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1 ، 1424 هـ 2003 م

38- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي ، افريقيا الشرق ، المغرب ، ط2- 2002.

39- محمد المصري ، مجد البرازي ، اللغة العربية (دراسات تطبيقية) ، دار المستقبل للنشر و التوزيع ، عمان ط1 ، 2011.

40- محمد حسن العيدروس ، التاريخ السياسي و الحضاري للدولة العباسية ، ط 1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2010

41- محمد عبد الله مصطفى ، اتجاهات النقد خلال القرنين السادس و السابع للهجريين ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984.

42- محمود رزق حامد ، الأدب العربي و تاريخه في العصر العباسي ، دار العلم و الايمان ، دسوق ، مصر ، ط 1 ، 2010

43- ناظم رشيد ، الأدب العربي في العصر العباسي ، د ط ، 1989 ، دار الكتب للطباعة و النشر ، الموصل ، العراق .

44- نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996.

45- نبيلة حسم محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ، 1993 م

46- نزار نبيل أبو منشار الحرباوي ، أسس منهجية في تطوير مهارة الخطابة ، د ط ، د ب ، د ت .

47- اليسوعي ، لويس شيخو ، علم الأدب في الخطابة ، ط3 ، ج2 ، مطبعة الآباء السيوعيين ، بيروت ، 1926.

د- الرسائل الجامعية :

1- عيسى بن ساعد مدور ، الخطابة في النثر الجزائري الحديث خصائصها و موضوعاتها ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه جامعة الجزئار كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، 2004-2005 .

2- لبنى دلندة ، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري الحديث ، جامعة باتنة 1 ، كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون ، قسم اللغة العربية و آدابها ، 2015-2016.

الفهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	**أ - ج**
الفصل الأول : الخطابة في العصر العباسي الأول	
1-تعريف الخطابة وأنواعها وأثرها في بنية الحياة السياسية في ع.ع.أ	
1-1 تعريف فن الخطابة	**5**
1-1-1: لغة	5
1-1-2: اصطلاحا	**6**
1-2 أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول:	**9**
1-2-1 : الخطابة الحفلية	9
1-2-2 : الخطابة الدينية	12
1-2-3 : الخطابة الحربية	13
1-2-4 : الخطابة السياسية	**14**
1-3 أثر الخطابة بنية الحياة السياسية في ع .ع .أ	**18**
2-الخطابة عند الساسة وخلفاء العصر العباسي الأول	**20**
2-1: موضوعات أبي العباس وأهم ما جاء في خطبه	
2-1-1 : نسبه و بيعته	21
2-1-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه	21
2-1-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته	27
2-2 : موضوعات هارون الرشيد وأهم ما جاء من خطبه	**28**
2-2-1 : نسبه و بيعته	
2-2-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه	29
2-2-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته	34
2-3 : موضوعات المأمون وأهم ما جاء من خطبه	
2-3-1 : نسبه وبيعته	35
2-3-2 : موضوعاته وارتباطاته السياسية وأهم خطبه	35
2-3-3 : أخلاقه ، صفاته وفاته.	39

الفصل الثاني : الخصائص الأسلوبية للخطب الشهيرة في العصر العباسي الأول (أبي العباس – هارون الرشيد والمأمون)	
1-البناء الشكلي	
1-1 : مقدمة	43
1-2- : عرض	45
1-3-: خاتمة	**46**
2 جماليات اللغوية لخطب العصر العباسي الأول	
2-1 : الغة	**47**
2-1-1 : السهولة والمباشر	48
2-1-2 : المصطلحات الدينية	50
2-2 الأسلوب	**52**
2-2-1 : الوضوح.	55
2-2-2 : الأسلوب الانشائي	57
2-3 -3 : الأسلوب الخبري	59
2-3 الصور البيانية	**61**
2-3-1: الاستعارة	62
2-3-2 : الكناية	65
2-4 المحسنات البديعية	**67**
2-4-1: الطباق	68
2-4-2 : السجع	69
الخاتمة	**73**
قائمة المراجع و المصادر	**76**

مـــلخـــــــص

تناول هذا البحث موضوع الخصائص الأسلوبية للخطب الشهيرة في العصر العباسي مع نماذج مختارة ، وقد كانت ارهاصاته الأولى لمحة عن فن الخطابة في العصر العباسي، إذ تعد الخطابة فن من فنون القول. التي تتميز بخاصيتها الشفوية، وكان لبلاغة الخطابة في هذا العصر دورا مهما للتأثير في أحوال الناس.

وهذا ما حاولنا إظهاره من خلال دراستنا لخطبة كل من أبي العباس وهارون الرشيد والمأمون، إذ هم محور بحثنا ودراستنا التي عرضنا فيها عن مفهوم الخطابة وأنواعها في العصر العباسي وحياة كل من هؤلاء الخلفاء وفترة حكمهم وكيف كانت الخطابة لها أثر كبير في حياتهم، مع دراسة جماليات اللغوية لكل خطبة من خطب هؤلاء الثلاثة.

Abrtract :

This research deals with the stylistic characteristics of the famous sermons in the abbais era with examples was seleted, it s first replapses were aglimpse of the art of speech in the abbaside ra.The rhetoric art was distinguished by its oral characteristic and had an important role influence on people ther fore , we demonstrate in our study of the sermous, abual-Abbas, haruna-rashid and al-Mamun.those who are the focus of our studyand research , in wich we present the concept of rhetoric and its types in the Abbaside ra and how the rhetoric has a great impact on their lives also we present and study the lingusitic aesthetics of each of the tree speeches.